

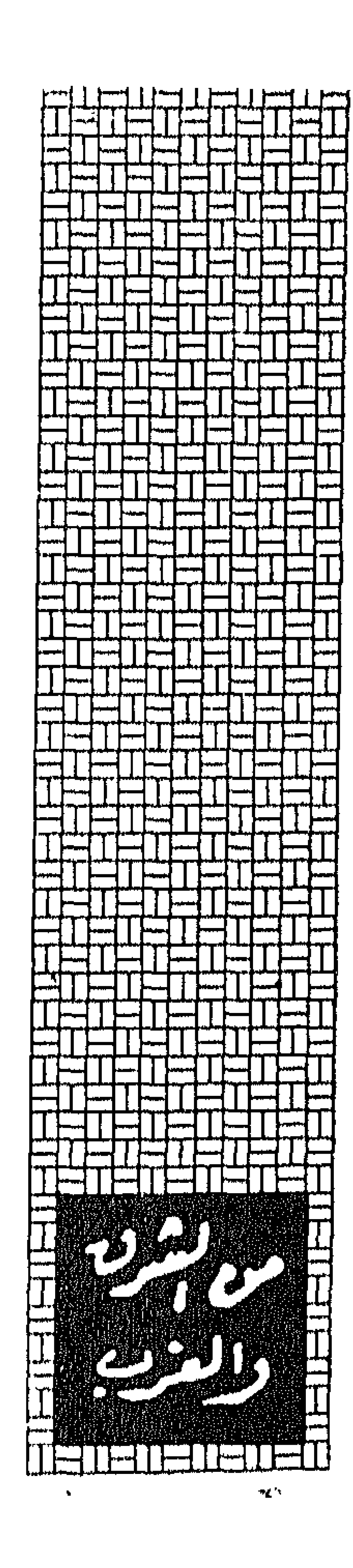
جولة سياحية

من طوكيو إلى لندن

بقلم
أحمد حمروش

日本画報





جولة سياحية

من طوكيو إلى لندن

بقلم: أحمد حمروش

محتويات الكتاب



باريس

وحيد فى باريس

هل يمكن أن تعيش وحيدا فى بلد يضم خمسة ملايين ؟

هل تستطيع أن تعيش بلا حديث فى بلد تهتز فيه الجدران من الصخب والمرح ؟

قصة أيامى فى باريس تحكى لك الجواب .. !

فى الصباح كنت فى مطار موسكو .. صلاح سالم وعبد العزيز فهمى يغادرانها الى القاهرة وأنا الى باريس .. والطائرتان تتحركان فى موعد واحد تقريبا .

وودعت صديقى على سلم الطائرة ؛ وتوجهت وحدى الى طائرة أخرى .. وعشت مع أيامى القريبة الماضية ، منذ وصولنا موسكو والحرارة تحت الصفر حتى هذه الساعة التى نغادرها فيها والشمس ساطعة .. وأنا كثيرا ما أحب أن أخلوا الى نفسى .. أتأمل حياتى .. وأجتر ذكرياتى .. وأعيد النظر فى أعمالى .

وتتابعت أيامنا هناك يوما بعد يوم ، وكانت حافلة بالعمل بلا وقت ضائع .. لم نذهب فى عشرة أيام

الى المسرح الا ليلة واحدة .. ولم نذهب الى الفراش قبل أن ينتصفه الليل . . ولم يتسرب الينا الضيق أو الملل . . وشـــعرت أن الزميلين يحملان معهما ذكريات غالية . .

وبدأت رحلتى وحيـــدا الا من الـــكتاب . . وانتظرت فى مطـــار كوبنهاجن خمس ساعات .. ثم واصلت الرحلة الى باريس .. وصلتها والساعة تعلن العاشرة وهى تتوهج بالأنوار التى تتلألأ فى كل مكان .

غادرت الفندق سريعا ، وبدأت جولة على قدمى . . العربات تنطلق فى جنون والناس فى المقاهى يتحدثون ، وفى الشارع قبلة هنـــا وقبلة هناك . . وبعض الشباب من الأولاد والبنات ينطلق بالغناء فى مرح .

جو جديد بهيج ، ولكن كل خواطرى ومشاعرى حبيسة لا تنطلق . . ليس هناك من صديق !

جلست على المقهى بعد سير ساعة كاملة ، الجالسون يتكلمون ، يتبادلون الأحاديث والمناقشات ترتفع الأصوات أحيانا ، وأحيانا ترتسم البسمات وتنطلق الضحكات .

ليس فى المقهى من يجلس وحيدا الا أنا !

وعدت الى الفنـــدق . . دخلت غرفتى صامتا . . ليس معى الآن صلاح سالم ولا عبدالعزيز فهمى ولن أتبادل كلمة مع أحد .. وأنقذنى التعب من التفكير ، أغمضت عينى وفتحتهما مع الصباح .

باريس تنفتح عن يوم جديد . . الزهور فى الدكاكين ، والفتيات فى الشارع كالورود ، والمدينة مرحة . . والساعة الآن التاسعة والمحال لم تفتح بعد . . وظننت باريس مثل مدريد تسهر حتى الفجر ، وتتأخر الأعمال فى الصباح . . ولكننى طالعت على صفحات الجرائد أن اليوم عيد . . يحتفلون بهدنة الحرب العالمية الأولى « ١١ نوفمبر » .

وأصبت بخيبة أمل .. ربما كان اليونسكو أيضا فى أجازة ، وهكذا يتعذر مقابلة توفيق الحكيم وأيضا بعثات المسرح التى تدرس هنا لن أجد أحدا منهم . . وبى شوق اليهم .

وأسرعت الى « مقهى دى لابيه » . . سمعت أن العرب يترددون عليه . . ربما وجدت أحدا يدلنى على الطريق فى هذا البلد الكبير . . لم أجد أحدا من أبنـاء العرب ، ولم أعثر على توفيق الحكيم . . وذهبت الى الكوميدى فرانسيز لأسأل عن أعضاء بعثـة المسرح ، ووجدت أن المسرح أيضا فى أجازة هذا الصباح . .

وبدا لى أن اليوم يمتد أمامى بلا نهاية .. كل هؤلاء الناس يعرفون طريقهم ومكانهم وأصدقاءهم . . أما أنا فليس الا هذا الكتاب الذى أحمله معى ، وأعيش مع شخصياته وأحداثه ، كلما جلست فى مكان .

وتعرفت على باريس وحدى . . متحف اللوفر ، والانفاليد حيث دفن نابليون وقوس النصر وشارع الشانزليزيه ، حيث يحتفل النـاس بالأعياد ، والأوبرا والكوميدى فرانسيز ، وبرج ايفل والحى اللاتينى وحى سان جرمان والبيجال حى اللهو الرخيص أيضا .

كان دليلى خريطة صغيرة ، تحدد خط سير المترو تحت الأرض ، وما قرأت عن هذه الأماكن فى الصحف وفى كتب التاريخ .

ومضى اليوم بلا حديث ، الا كلمات خاطفة عابرة مع بائع الصحف وموظف الفندق ، وجرسون المقهى . .

لم أذهب الى أى ملهى . . كنت مجهدا من السـير طول النهار ، أتابع معالم باريس .

بدأ يوم ثالث فى باريس ومعه الأمل فى لقاء أحـد . . اليونسكو يجب أن توفيق الحكيم فى لجنة . . ذهبت الى هناك أقطع الوقت ،

وفى المبنى الفخم الحديث ، وجدت أنه ليس هناك أحد من أعضاء وفد مصر . . أين ذهبوا ؟ لست أدرى . . !

وشعرت وقتها بفائدة السفارات فى الدول .. انها واحات يلجأ اليها الانسان كلما ضاق به السبيل . . والناس فيها ينيرون للقادم الطريق .

وتذكرت الروح العالية والترحيب الذى لاقيناه فى موسـكو من سفيرنا هناك السيد محمد عوض القونى ومعه كل رجال السفارة .

مر اليوم الثالث أيضا ، ولا أحد فى الـكوميدى فرنسيز يعرف طريق أفراد هذه البعثات المسرحية . .

وتحدد موقفى ، سأظل وحيدا اذا لم تنقذنى الصدفة حتى أغادر باريس . .

الوقت الذى أمضيته فى المسارح كان أسـعد أوقاتى . . ربطنى بحوادث وشخصيات ، وعشت سـاعات منفعلا مع النـاس بالمواقف الدراميـة . .

وبعد المسرح أعود وحيدا ، أرقب مشاهد تتكرر أمامى كل لحظة . . مشاهد الناس فى حياتهم اليومية . .

نابليون امبراطور فرنسا

عندما تقترب من قبره ، يرتد بك التاريخ عشرات السنين تراه فوق حصانه الأبيض ، تنعكس الشمس على أوسمته ونياشينه ، كلمته تحرك ألوف الجنود الى معارك رهيبة . . فى البر والبحر . . فى القاهرة وموسكو وروما . . عاش حياته بين الانتصارات والهزائم . . توج امبراطورا ومات منفيا شريدا !

وهو اليوم يرقد صامتا فى قبر كبير من الخشب اللامع فى الأنفاليد باريس ، وحوله أسماء المعارك التى خاضها ، وقبور بعض أقاربه وقادته . .

والأنفاليد يحمل أثر الزمن . . يجمع المتاحف الحربية ، وقبر نابليون فى كنيسة كتب عليها « هنا بيت الله . . لا ترفعوا أصواتكم ، ولا تزعجوا الموتى . . » تدخل اليه من باب يحرسه جندى واحد ، وتمضى فى بهو كبير فيطالعك تمثال مرتفع لنابليون ، يلبس قبعته ويمتشق سيفه ويده على معدته التى كانت تؤلمه .. وفوقه ساعة ضاعت معالمها ، توقفت عن المضى مع الزمن تعلن دائما الثالثة والثلث الساعة التى مات فيها نابليون !

وفى البهو الواسع عشرات من المدافع صغيرة وكبيرة . . بعضها قائم كأنما يستعد للمعركة ، والبعض ملقى على الأرض كالجثة الهامدة . . منها ما صنعه العرب وعليه هذه الكلمات « بسم الله الرحمن الرحيم . . صنع فى عهد السلطان الأعظم . . الخ » ومنها ما صنع فى

ايطاليا . . انها شهادات الانتصار فى المعارك التى حرث بها نابليون تربة الدول المجاورة ليبذر بذور السيطرة الفرنسية .

المدافع الملقاة ، والساعة المعطلة ، وجثمان نابليون ، وسطور فى الكتب ، هى كل ما تخلف عن نابليون بعد تاريخ ارتوت فيه الأرض بالدماء ، وقاسى البشر فيه ألوانا من العذاب . .

وعد نابليون جنوده بالمجد والشرف . . فكان أن نهبت أموال الكنائس ، وسرقت المجوهرات ، وضاعت عفة النساء . . وتحولت الحرب الى اغتصاب مسلح . .

كان أمام نابليون فى معاركه الأولى خطاب من الجمعية الأهلية يقول : « تثق الحكومة أن المواطن الجنرال يدرك أن المجد الفنى يجب أن يرتبط وثيقا بالمجد الحربى الذى تدركه الجيوش التى يتولى قيادتها . . ان ايطاليا مدينة ولا شك للفنون بثروتها وشهرتها ولكن قد حان الوقت لينتقل هذا المجد الفنى الى فرنسا لتقوية روح الحرية ومظهرها . . ولذا يجب أن يضاف الى ما فى الانتصارات العسكرية من روعة وبهاء ما يمكن الحصول عليه خلالها من كسب فنى » !

حارب نابليون لتسرق فرنسا ايطاليا ، وتسرق غيرها من الدول .. وتحول الجنرال الى لص مسلح ، يفتح الخزائن بسيفه ، ويجرد الدول من أموالها بمدفعه ، وتحولت جحافله الى عصابات تحيل الأخضر الى يابس ، وتسدل فوق البلاد الظلام . .

وتذكرت وأنا أتجول حول قبره كلماته التى قالها قبل موته وحيدا فى منفاه بجزيرة سانت هيلانه : « الحرب شيء ردىء قذر . . انها الشر مجسما » . . !

صحوة نابليون ويقظته جاءت متأخرة . . !

ونحن اليوم بعد تاريخ طويل من المعارك والحروب ، ندخل مرحلة جديدة من مراحل الحياة . . هى مرحلة نزع السلاح والسلام بين الشعوب . .

قد يكون هناك بعض المتشائمين ، الذين لا يتصورون العالم بلا حروب ، والانسان فى سلام لا يعرف العدوان ، ولكن التاريخ يمضى بنا فى هذا الطريق . . طريق النور والعلم والسلام .

وأعتقد أن الذين يبلغون الأربعين سيمتد بهم الأجل ليشهدوا فى المتاحف كل هذه الأسلحة كما شاهدت فى الأنفاليد مدافع نابليون ، عاطلة ، صامتة ، تحمل أثر الزمن ، ولا تنطلق .

سيشهد أبناء هذا الجيل القنابل الذرية خلف واجهات من زجاج .

والصواريخ كتماثيل فى الميادين ، وسيشهدون أيضا مولد تاريخ جديد لا يعرف الحروب . . وفيه تتحرك كل الشعوب .

ويومها سوف نسمع من يقول : السلم كسبناه . . « والسلاح ألقيناه » . . !

حياة بلا حب ..!

رأيتها فى القاهـرة والاسكندرية . . ورأيتها فى برلين وهامبورج وجنيف وروما ومعظم بلاد أوربا . . وأخيرا رأيتها فى باريس .

أراها منذ زمن بعيد ، الأيام تمر وهى فى مـكانها لا تتغير . . أنا لا أعرفها بالاسم ولـكننى أعرفها بالشكل . . لا أدرى لمـاذا ينضح قلبى بالمرارة ، ويغلف الأسى نفسى كلما شاهدتها ، ولا أدرى أيضـا لمـاذا تموت الرغبة فى جسمى وأنا أرقبها رغم ما تحيط به نفسها من اغراء من الزينة والملبس ، وأنا لا أكرهها ولكنى أرثى لها . . !

كانت فى باريس تقف فى أحد شوارع حى بيجال . حيث الأضواء تلمع وتكاد تخطف البصر . . والملاهى ونوادى الليل لا يفصل بينها الا المقاهى والبارات والمطاعم . . الناس يتدفقون والحى لا يعرف هدوء الليل ولا السكون . .

ومع هذا كانت تقف وحيدة فى هذا الضجيج ، تستند الى فانوس النور أو محطة الأوتوبيس . . تروح فى الشوارع الفرعيـة وتجىء ، تبتسم لكل عابر ، وتنفث دخان سيجارتها فى تكاسل ، وأحيانا تكشف عن جسمها عندما تلمح الرغبة فى عين أحد العابرين ، تكاد تدعو الجميع بالقول والاشارة . . وهى هنا وهناك تساوم الجميع من أجل الثمن .

رأيتها هذه الليلة . . لم تكن فى شوارع حى بيجال . . ولم تكن مثل زميلاتها تقف فى الطريق كانت تجلس فى أحد مقاهى شـارع الشانزليزيه . جميلة ورشيقة وفى عينيهـا حيرة .. كانت تجلس على

المائدة المجاورة لى ، وكنت منشغلا بقراءة احدى الجرائد اللبنانية التى تصل باريس وجرائدنا لا تصل هناك !

اقتربت منى تسألنى أن أشعل سيجارتها ، وعند ما قلت لها أنى لا أدخن ، أخرجت ولاعتها وأشعلت السيجارة ، وواصلت الحديث وهى تضع ساقا على ساق وتكشف عن ملابسها الداخلية :

سألتنى عن الطريقة التى نكتب بها اللغة العربية التى رأتها فى الجريدة وعند ما أجبتها فى بساطة أنها تكتب من اليمين الى اليسار .. سألتنى دون أن تضيع وقتا ، هل أنت خال الليلة وتحب أن تمارس عملية الحب . . !

وفاجأنى السؤال ، فتعثرت فى الجواب ، ولكنها استمرت تشرح عرضها بألفاظ ثابتة . . انها يمكن أن تذهب معى الى الفندق ، اذا دفعت لها الثمن ، وازدادت دهشتى من سرعة العرض ، ومن الكلمات التى تخلو من رنين العاطفة . . وصدمت للعلاقة بين المرأة والرجل تتحول الى علاقة ميكانيكية تجارية .

واعتذرت لها بأنى لا أفكر فى هذه التجربة . . ولكنها واصلت الحديث وكأنها لم تسمع ، تعرض فى مهارة أن تخفض الثمن تبعا لظروفى الخاصة .

. . . وهى تنسج من كلماتها وبسمتها وحركاتها المثيرة نسيجا من الاغراء يشل مقاومة الرجل ويدفع به الى القبول .

وقلت لها انى لا أستطيع أن أقيم علاقة مع امرأة الا اذا كان الحب هو الصلة التى تربط بيننا . . ولوت الفتاة شفتها السفلى وهى تسخر من كلمة الحب وتقول انها لا تؤمن به فلم يعد له مكان فى حياتنا السريعة المتعجلة . .

ومضيت أردد لها أن الحب هو العاطفة التى تشعرنى بانسانيتى ، وهى التى تجعلنى أذوب مع المرأة التى أحبها فى كيان واحد . أتحمل من أجلها الألم والتضحية . . وأسعد بين ذراعيها برحيق الحياة .

ورمت الفتاة آخر سهامها عند ما قالت انها يمكن أن تعطينى وقتا سعيدا رائعا يغنينى عن هذه العواطف المجهولة .. ثم تساءلت : والحب فى نهايته لقاء بين جسدين . . أليس كذلك . . ؟

وقلت لها : نعم . . ولـــكنه مع الحب يكون شـــيئا مثل الثمرة الناضجة . . وهو بغير الحب يسقط مثل الورقة الذابلة . .

وقالت الفتاة بعد أن لمست اليـــأس من النتيجة « أنت حر . . ! » واستدارت تبحث فى المقهى عن رجل يجلس وحيـــدا . . ونظرت الى عينيها التى بدأت تدور . فوجدت فى أعماقها مع الحيرة نظرة استجداء .

ورثيت للفتاة الحلوة الرشـــيقة انها كان يمكن أن تعيش حيـــاة تحترم فيها انسانيتها . . الحب يرسل فى قلبها الشرارة المضيئـــة التى تبدد ظلام الحياة . . ولـــكنها أجبرت أو اختارت أن تعرض جسمها للبيع كل ليلة لأكثر من شخص ، وهى تكظم فى نفسها كل ما ينفرهـــا من الرجل طالما هو يدفع الثمن ، العواطف عندها تتحول الى أرقام .. وجسمها مع الأيام لا يهتز لانسان .

مجتمعنا يمعن فى قسوته عنـــد ما يطحن المرأة ويدفعها الى هـــذا الطريق المظلم الذى ينبت فيه الشوك وتذبل فيه العواطف ، ويتمرغ كل شىء فى الوحل والعفن .

حضـــارة الدول اليوم يمكن أن تقاس باحترام المرأة لـــكرامتها وشخصيتها . وعدم التجائها الى بيع الجسد . . وعند ما تتطهر المدينة من النســـاء اللواتى ينتظرن فى الشوارع أو يتناثرن فى نوادى الليل

والحانات فانه يمكن لكل منصف أن يحكم بأن هذه المدينة قد تفوقت فى العمل وفى الأخلاق .

باريس الرائعة ، مدينة الفن والثقافة تشـــبه الفتاة الرشيقة ذات الوجه الجميل ، ولكن هؤلاء الفتيات يتناثرن على هذا الوجه كالبثور .

بائسات هؤلاء الحائرات يعشن حياة لا تعرف الحب .

الغلاء فى باريس

مضى على أسبوع وأنا أطير بأجنحة الشوق الى القاهرة . . الغلاء فى باريس يفترسنى فى كل وجبة وفى كل نزهة . .

الوجبة المتواضعة لا تكلفك أقل من ١٠٠٠ فرنك «الجنيه المصرى فى السوق الحرة يساوى ٩٢٥ فرنكا » وفنجـان القهوة على الواقف تدفع فيه ١٥ قرشا . وزجاجة الكوكاكولا ١٢ قرشا !

المسارح أيضا أسعارها مرتفعة . . تبـدأ من نصف جنيه ، وتصل الى عدة جنيهات ، تذكرة السينما ٦٠ قرشا ، دخول الفولى برجـير يكلفك ٥٠ قرشـا اذا وجدت محلا للوقوف وتدفع مبلغـا يصل الى خمسة جنيهات اذا أردت الجلوس ! وفى الليدو تذكرة ثمنها سـبعة جنيهات . .

عداد التاكسى يبدأ فى العد بعد ١٦٠ فرنكا « ١٦ قرشا » وتوجد أجور اضافية تضيفها للأجرة اذا كنت تحمل معك حقائب . أو ركبت بعد ساعة معينة من الليل . . !

واجهات المحلات تغريك بما فيها من بضائع لها ذوق رفيع ، ولكنها أيضا تمنعك من الدخول بما تحمله من أسعار فاحشة .. حتى ما اشتهرت به باريس من روائح وكرافتات .

أحقر الفنادق لاتقل أجرة المبيت فيه عن جنيه ونصف جنيه فى الليلة والمتوسط ترتفع فيه الأجرة الى أربعة جنيهات ، أما الفنادق الفاخرة فتصل فيها الأجرة الى عشرات الجنيهات . . وأنت تدفع فوق ذلك ١٥ ٪ خدمة ، ٩ ٪ ضرائب . . !

باريس أصبحت أغلى بلاد أوربا لا يتحملها الا الأمريكان وعدد من الأمراء الشرقيين . . أما سكان باريس الأصليون فانهم يجأرون بالشكاوى . . الموظفون والعمال يطالبون بأجور اضافية . . والنساء أصبحن يتجهن الى العمل والبعض منهن يخطىء الطريق ويتاجر فى الجسد . . وأهل باريس يغادرونها فى الربيع والصيف عند ما يكثر السياح وتصبح الأسعار فى المدينة أمرا لا يحتمل .

انى أتجه الى القاهرة . . وأتذكر أسعارنا الرخيصة فى السكن والطعام والمسرح والسينما ، وأحمد الله أنى فى الطريق الى القاهرة ..

مدينة الليل .. لاتسهر الليل ..!

وعندما انتقلت من موسكو الى باريس ، شعرت أنى أنتقـل من مدينة يبنى فيها العمل أسـاس المجتمع الى مدينـة يضىء فيها اللهو ظلام الليل .

باريس مدينة ساحرة فاتنة ، ينطلق فيها الغريب ، لا يشعر بالملل .. يحلق فيها الفنان يضيف الى حياته فى كل لحظة شيئا جديدا .

هى مدينة الحياة والحب واللهو .. وواجهتها ليست ملاهى البيجال ومونمارتر . . ولا بائعات الجسد فى كل مكان ، ولـكنها تحوى فى أعماقها كنوزا من الثقافة والتاريخ .

وفى باريس متعة لـكل انسان . .

مع الناس فى باريس

* ولعل أسخف من تلتقى به فى باريس هو سائق التاكسى ، انه يلتقط من لهجتك أنك أجنبى . . وهنا يدور بك فى المدينة قبـل أن يصل بك الى وجهتك . .

* فى الليـلة الأولى ركبت تاكسى وسـجل العداد ٣٣٠ فرنكا « حوالى ٣٢ قرشا » ولكن السائق طالبنى بمبلغ ٥٢٠ فرنكا .وسألته عن السبب فقال : « ٥٠ فرنكا لأننا فى الليل ، ١٥٠ فرنكا لأنك تحمل ٣ حقائب » .

ودفعت بلا مناقشة ، وقبل أن أنصرف طلب منى فى برود أن أدفع له البقشيش . .

* وفى باريس أعد لنـــا مدير البعثات فى فرنسا برنامجا لزيارة المسارح وذهبنا الى الكوميدى فرانسيز فى ليلة قدمت فيها مسرحيتان للكاتب «ساشاجيترى» هما : مسرحية عن الصين ، وأخرى اســـمها الغـــيرة . .

المجتمع الفرنسى يحتفظ رجاله بملابس السهرة والنساء بالسواريه وبأحدث الطرق لتصفيف الشعر . .

كانت صالة المسرح . . وكأنها معرض للأناقة والرشاقة . .

الجديد فى الحفلة .. انه بعد المسرحية التى كتبت عن الصين ، ارتفع الستار من جديد ، وظهر مكتب صغير ، وقدم مدير الكوميدى فرانسيز كاتبا فرنسيا نسيت اسمه ، جلس على المـــكتب وأخـــذ يحاضرنا عن ساشاجيترى مدة ربع ساعة .

وهذا تقليد حبذا لو أخذنا به فى المسارح العربية لتعريف الجماهير بمشاهير الكتاب والفنانين .

* وفى المسرح القومى الشعبى ولفظ الشعب أطلق عليه لرخص أسعاره ــ رغم أنه من أرقى مسارح فرنســـا . . مديره جاك فيلاز ، وكان جيرار فيليب الذى توفى أخيرا أحد الممثلين فيه .

فى هذا المسرح الذى يتسع لثلاثة آلاف وثلثمائة متفرج ، لاحظت أن الذين يتأخرون عن رفع الستار لا يدخلون الى الصالة ، ولـــكنهم يبقون فى ردهة المسرح .

وهم لايضيعون وقتهم عبثا ، أعدت لهم ادارة المسرح أربعة أجهزة تليفزيون تنقل اليهم ما يدور على خشبة المسرح ، حتى يستطيعوا أن يتابعوا المسرحية من أولها .

وفى غرفة الاستراحة للممثلين ، يوجد تليفزيون آخر ، يعرف عن طريقه كل ممثل موعد ظهوره على المسرح . فيتجه الى الكواليس بدلا من ضياع وقت مدير المسرح فىالبحث عنه ، أو بقائه فى قلق الانتظار .

* وأنت فى الفولى برجير نادرا ما تلتقى بفرنسيين . . معظم المشاهدين من الأجانب واللغة الانجليزية سائدة لكثرة السياح من أبناء أمريكا . .

الفولى برجير يقدم استعراضات فخمة . . ولكنه لا يقدم غناء الا فى الاضاءة والديكور . . أما الرقصات فمعظمها اهتزازات وأجسام عارية ومحاولات للاغراء .

ومع هذا فلا شك أنه من معالم باريس . . لأنه عنوان لحياة الليل هناك . .

* ولا تظن أن أهل باريس يسهرون كل ليلة حتى خيوط الفجر .

الحقيقة تختلف عن ذلك كثيرا . . سكان باريس ينامون قبل أن ينتصف الليل . . والمترو يتوقف قبل الساعة الواحدة . . والهدوء يخيم على الأحياء فىباريس بعد أن تغلق المحلات أبوابها فىالسابعة والنصف عدا أحياء اللهو والمسارح . . ومن أجمل التقاليد التى أحببتها فى باريس أن الساعة العاشرة تعتبر عندهم موعدا عاما يستحق الاحترام .

كل انسان يجب أن يخفض صوته . . انه الموعد الذى يستعد فيه الانسان للنوم بعيدا عن كل ضجيج .

وفى كل الليالى التى أمضيتها هناك . . لاحظت اهتماما شـــديدا بتطبيق هذا التقليد الرائع الذى يحترم الجار . .

* وكدت أبكى فى باريس عند ما شاهدت أما تلبس السواد .. وتقف الى جوار لوحة رخامية علقت على جدار أحد المنازل ، ووضعت باقة من الزهور فى حلقة نحاسية أعدت لذلك .

انتظرت حتى مضت الأم فى سبيلها . . واقتربت من اللوحة أقرأ ما كتب عليها . .

وقرأت هذه الكلمات : « هنا قتل . . من أجل فرنسا » .

وعلمت أنه أحد شهداء المقــاومة الشعبية ضد قوات النازى . صرعته رصاصات هتلر فى هذا المــكان .

أحدث صيحة تجتاح باريس فى هذه الأيام
قاوموا الحب !!

الربيع فى باريس .. كل شىء يتفتح .. الحب والشباب والزهور .. الضحكات تنطلق .. والمرح يضىء المدينة .. والحياة تتبدد كأوراق الشجر .

باريس فى أروع حالتها هذه الأيام ..خلع الناس المعاطف ،وخرجوا الى الشارع ، فالمنازل هنا لا تغرى بالاقامة .. تحتفظ دائما بالطابع القديم .. هى الشىء الوحيد الذى لا يندفع الى الأمام .. الفكر والفن والثقافة تخلق مدارس جديدة .. ولكنك لن تجد منزلا حديث البناء متنافرا مع الطراز القديم ، ولن تجد ناطحة سحاب تعلو فى غير انسجام .

وهذه الأيام فى باريس عطلة عيد .. الجامعات والمدارس مغلقة الأبواب .. والناس من مختلف الدول أقبلوا عليها .. رحلات لمدارس بريطانية مع مدرسين يلبسون القبعة ويحملون المظلة ويدخنون البيبة .. شباب متحرر من ألمانيا ينهل من عذوبة الحياة .. جماعات من بلاد الشمال تتميز بالأناقة والقوام الفارع والشعر الأشقر .. وسياح من أمريكا معظمهم من العجائز يحملون الكاميرا ويدفعون بالدولار .

اذا جلست على مقهى من مقاهى الشانزليزيه ، انتقل العالم اليك .. والمدينة فى هذه الأيام لا تنام .. تصل الليل بالنهار .

اليزابيث ... وخروشوف

والأسـابيع الماضية تميزت بنشاط الحياة السياسـية .. رحلة « خروشوف » الى باريس ما زالت محل تعليقات ومناقشات .

وباريس تضحك على نكتة أطلقها « خروشوف » عند زيارته لاحدى المدن .. ورفض نائب هذه المدينة الحضور لاستقباله ..

روى خروشوف أسطورة عن ثلاثة أصـدقاء : كلب .. وبقرة .. وحمار .. كانوا يريدون دخول احدى القرى .. أرسلوا الكلب اليهـا فعاد مسرعا يقول : انهم أرادوا أن يجعلوا منه حارسا تقيده السلاسل.. وذهبت البقرة فعادت والذعر فى عينيها تقول : انهم أرادوا أن يذبحوها ويأكلوا لحمهـا .. وذهب الحمار وعاد يجـرى ويرفص فى الهـواء .. واستقبله الكلب والبقرة قائلين :

ــ ماذا جرى لك ؟

وقال الحمار :

ــ تصوروا أنهم أرادوا أن يجعلوا منى أسوأ مايمكن أن يكون.. أرادوا أن يجعلوا منى نائبا على البلد وغرق الحاضرون فى الضحك .. وتناقل الجميع فى فرنسا نكتة خروشوف .. ولم يجسر النائب بعدها على الظهور .

وديجول استقبل فى لندن استقبالا حافلا .. ورغم أن ديجول يلاقى معارضة عنيفة من أكثر من جبهة .. الا ان السياسة فى فرنسـا تختفى وتذوب أمام مباهج العين واقبال الربيع .

مهرجان عجيب

أعجب مهرجان أقيم احتفالا بالعيد والربيع .. هو احتفال مدرسة الفنون الجميلة .

أعد الطلبة ثمانى عربات .. أقاموا عليها تماثيل جنسية فاحشة .. وزينوا جدران مدرستهم بصور ومناظر أكثر فحشا وانحلالا .

وخرجوا الى الشوارع .. البوليس يحرس موكبهم .. والناس تتجمع فى الحى اللاتينى وتتطلع الى هـذا الموكب الغريب بين الفضول والاشمئزاز .

سألت أحدهم : لماذا اخترتم هذا الشذوذ ! وكان الجواب فى بساطة .. لأنه سر الحياة ...

وفى أحد الميادين وقفت لجنة تحكيم .. أحرقوا كل العربات الفاشلة وبقيت العربة الفائزة .

وعاد الطلبة الى مدرستهم .. وامتدت سهرتهم الى الصباح ، فى هذا الجو الذى تنطلق فيـه الغرائز بلا قيود .. ويعبر النـاس عن عواطفهم وانفعالاتهم بشتى الصور .

هى أزمة العصر تصل قمتها هنا فى باريس .. شباب حائر لا يعرف الطريق .. جيل يعـانى من المجهول .. ولد فى أعقاب حرب دمرت كل القيم .. تركت النساء عرايا بلا طعام ولا رجال ..
وكانت الوجودية التى عاشت لفترة تعبر عن كل شاذ .. حتى اختفت فى هذه الأيام .. وأغلقت معظم كهوفها .. ولم تبق الا فى الذكريات .

قاوموا الحب

ومع هذا تنبت فى فرنسا ألوان شاذة من الأفكار تجذب اليها الشباب الذى لم تستقر بعد عواطفه ولا أفكاره .

أحدث صيحة فى باريس .. هى « مقاومة الحب » ..!

* الحب يدمر كل شىء .. علينا أن ندمره
* الحب يلقى بنا فى العذاب
* حياة العصر لا تتسع للعواطف الشاردة
* لا داعى للارتباط بواحدة .. كل النساء سواء
* لقاء الجسد فى لحظات أفضل من أوهام الحب .

وكل صيحة تنبعث فى باريس تجد لها ألفا من المستجيبين .. وتجند لها صفحات فى الصحف ، وتطن من أجلها المسرحيات ، وأفلام السينما .

آخر فيلم يعرض الآن يعبر عن هذا التيار هو فيلم «مقطوع النفس» الذى أخرجه الناقد السينمائى « جان ليك جودار » وهو أول فيلم طويل من اخراجه .

قصة الفيلم تدور حول شاب ارتكب عدة حوادث فى مرسيليا ، ثم حضر الى باريس مع عربة مسروقة وتعرف الى فتاة من بائعات الصحف فى الليل فى الشانزليزيه وهى طالبة أمريكية .

الفتاة تؤمن بمبدأ « الحب للحظة فقط » .. وأمضيا معا أياما جميلة، ثم شعرت أن عواطفها بدأت تتحرك نحوه ، وأنها تميل الى الارتباط به ماذا تفعل لتحقق مبدأها وتتغلب على عواطفها ؟.. أبلغت عنه البوليس الذى قتله أثناء اعتقاله وتلفتت الفتاة حولها .. وجدت بذرة الحب مازالت فى قلب خصب . . وانتهى الفيلم وهى فى أزمتها العنيفة .

هل انتصرت على الحب ؟

هل هزمها الحب ؟

السؤال ما زال حائرا بلا جواب .. وعلى كل متفرج أن يجيب عنه بما يحمله فى رأسه من أفكار . ولكن الفتاة تقول فى الفيلم « أنا لا أعرف هل أنا حرة لأنى لست سعيدة أم أنا لست سعيدة لأنى حرة !! »

فرانسوا زساجان

و « فرانسواز » التى تكتب فى صراحة عن حياة هذا الجيل الحائر .. والتى قدمنا كتابها : « هل تحبين براهمز » فى عدد مارس من كتب للجميع .. اتجهت الى المسرح فى انتاجها الجديد .. قدمت مسرحية باسم « قصر فى السويد » .

لم تتح لى اقامتى القصيرة فى باريس فرصة مشاهدتها .. ولكنى سمعت من الآراء ، وقرأت من النقد ما يدل على أنها يجب أن تعود الى كتابة الرواية من جديد .. فالمسرح ليس موهبة فقط ولكنه فن ، وعلم ، وقواعد ، وأصول .

و « فرانسواز » ما زالت فى حياة هذا العصر ، تعبر عن جيلهاالذى تشتتت عواطفه وتمزق نسيج حياته .

وهى تجد مقاومة فكرية شديدة من الكتاب الجادين الذين يرون فى الحياة جوانب أكثر اشراقا وازدهارا من الجنس الذى يتسلط عندها على كل شىء .

وماذا يفعل الشباب .. والصفحات الأولى فى بعض جرائد باريس لا تهتم الا بفضائح الجنس .

« فرانس سوار » نشرت اليوم فى صفحتها الأولى صورة تكاد تكون عارية لراقصة أسمتها ملكة « الاستربتيز » فى الفولى برجير ..

و « الاستربتيز » هو هذا اللون من الرقص الذى تخلع فيه الراقصة ملابسها قطعة بعد أخرى حتى تظهر فى صورة حواء .

نشرت الجريدة الواسعة الانتشار قصة حب لزوجها مع سيدة أخرى ، نشرت صورتها هى الأخرى عارية .

و « بريجيت باردو » أيضا تثير موجة اهتمام شديد .. آخر ما تتحدث عنه باريس هو علاقتها بزوجها انه يغلق عليها الباب عندما يغادر الشقة .. وبينهما خلاف حاد .

وتوقعوا قريبا طلاق « بريجيت باردو » .. التى ما زالت تسريحة شعرها وقوامها وملابسها ومشيتها هى مثال لألوف الفتيات الفرنسيات وكلهن يكاد يصيح « كلنا بريجيت باردو »

تغير واضح لمسته فى باريس عن أيام ما كنت فيها فى أوائل ديسمبر الماضى .

تقاليع

وفى باريس ظهرت أكثر من تقليعة جديدة .

ماكينة تقف عليها فتثير تحت قدميك اهتزازات كهربائية تدلك الأعصاب المرهقة من المشى .. حتى تستطيع مواصلة السير ومشاهدة الفاترينات التى تخرج منها المودات الى كل أنحاء العالم . مثل ماكينات معرض بروكسل الدولى .

ماكينة أخرى تمنحك فرصة استنشاق الهواء النقى نظير خمسين فرنكا من القديم أو نصف فرنك من الجديد الذى يسمى « الفرنك

الثقيل » ... والغريب أن هذه الماكينات فى محلات شارع الشـانزليزيه الذى ينطلق فيه الهواء والنسيم عذبا صافيا .

ماكينة « تيكر » مثل التى تتلقى عليها الأخبار الخارجية من وكالات الأنباء .. منتشرة فى عدد من المقاهى .. لا تصل عن طريقها أخبار العالم الخارجى ، ولكن أخبار سباق الخيل !

وفى كل مقهى منتدى صغير للقمار يجذب كثيرا من الرواد .

فنان جديد اسمه سافينياك .. كل اعلان يرسمه ويعلق على الجدران يجلب الشهرة لبضاعته آخر اعـلان له عن أقلام الحبر الجاف .. اسمها الحبر النفاث .. وتضاعف توزيع الأقلام بعد اعلان الفنان .

السيدات يلبسن جـوارب تمنح البشرة اللون الذى تكسبه لهـا الشمس .. تسريحة فرح ديبا كادت تختفى ، وبدلا منها يرتفع الشعر الى أعلى الرأس .

مع أبناء الجزائر على شاطىء السين

الكتب القديمة التى تنتشر على سور حديقة الأزبكية تجذبنى غالبا الى الاطلاع عليها ، والقراءة فيها وشراء البعض منها .. وأنا فى طريق الذهاب الى المسرح أو العودة منه .

هذه الكتب التى بليت أغلفتها ، وغلبت الصفرة على أوراقها ،تخلق حول الحديقة جوا خاصا ينشر رائحة الثقافة وعبير المعرفة .

وعلى السور ، وفى الهواء الطلق ، يلتقى انتاج كبار الأدباء والعلماء والفنـــانين .. العرب والأجانب أهل اليمين واليســـار .. الذين ماتوا والأحياء .

وتتجاور الكتب ، وكأنها تتهامس فى صفاء ، وتتبـــادل المعرفة فى سكون . . لا يزعجها الا الأيدى الخشنة ، وهى تقلب صفحاتها ، ثم تلقى بها فى اهمال .. أو تنزعها من بين اخوتها الى مكان جديد .. غالبا مايكون مغلقا مظلما لايعرف الهواء الطلق ، ولا ينعم بضوء الشمس .

وفى باريس اليوم ، رأيت هذه الكتب تلتقى على ضفتى نهرالسين .. مكتبات خشبية كثيرة ، تنهض على سور الطريق الذى يحاذى النهر.

وأعادتنى هذه الصورة ، الى سور حديقة الأزبكية .. وأقبلت على كتب نهر السين .. أقلبها وأتصفحها .

معظم الكتب باللغة الفرنسية ، ونادرا ما تجد كتابا بلغة أخرى .. وطبعا لم أجد كتابا واحدا بالعربية ..

وأمضيت مع هذه الكتب فترة الغروب ، والشمس تعكس ضوءها الارجوانى على مياه النهر .. وعندما تعذرت القراءة ، بدأ أصحاب المكتبات يغلقون الأرفف الخشبية على الكتب حتى صباح يوم جديد .

انهم هناك لا يضيئون المكتبات مثلما يفعل أصحاب مكتبات سور الأزبكية .. ولا يعملون بالليل

وتابعت السير على شاطىء السين وأنا أحمل بعض الكتب التى اشتريتها .. وأسعار الكتب القديمة ليست رخيصة مثل أسعار الكتب عندنا .. ان ثمنها مرتفع مثل ثمن كل شىء فى فرنسا .

ونهر السين ليس عريضا ولا شامخا ، مثل النيل .. ولكنهم هنا يحتفلون بالنهر الذى يخترق مدينتهم الكبيرة .

الأنوار الهادئة تضىء جانبيه . والأشجار تحتضنه ، (والكبارى) الكثيرة تصل بين شاطئيه ومراكب السياحة لا تتوقف عن المرور .. ترتفع منها أصوات المرح ، وألحان الموسيقى .

وعبرت أحد (الكبارى) مع بعض الأصدقاء .. على طرفه تمثال لهنرى الرابع مضاء اضاءة غير مباشرة ونزلنا عددا كبيرا من السلالم الحجرية الى جزيرة صغيرة ، تمتد وسط النهر .

الخضرة تكسو الجزيرة الفاتنة عدا طريق صغير ، يحيط بها .. وتتناثر حوله المقاعد الخشبية يجلس عليها العشاق .. يتبادلون القبلات فى حرية كالعصافير الصغيرة .

وعلى أحد المقاعد شاهدت أربعة شبان .. أحدهم يعزف على « الجمبش » والآخر يعزف على « رق » بلا طارة من جلد .

النغمات جذبت آذنى اليها .. انى أسمعها نغمات شرقية .. ولكننا فى باريس ..!!

واقتربت من العازفين .. وجلست مع الأصدقاء على المقعد المجاور .. وتسللت الى الأذان كلمات عربية .

وازددنا اقترابا .. انهم يغنون فعلا احدى أغنيات فريد الأطرش .

وتبادلنا التحية .. ثم سألناهم :

ـ هل أنتم عرب ؟

وكان الجواب :

ـ نعم .. من الجزائر

وعندما قلنا :

ـ ونحن من القاهرة

تصافحت الأيدى فى حرارة ملتهبة .. وكأننا أصدقاء نلتقى بعد غياب طويل .. وشعرت بالبهجة تغمرنى ، وأنا أرى الود كاملا فى العيون ، وأسمع منهم كلمات الحب والتقدير للجمهورية العربية ، وللرئيس عبد الناصر ، الذى وصفوه بأنه « رائد التحرر العربى والافريقى » .

وازدادت حلقتنا اتساعا .. بعض الأخوة الجزائريين أقبلوا من بعيد .. يصافحون فى ترحيب كلما عرفوا أننا من القاهرة .

وارتفعت نغمات (الرق والجمبش) تقدم ألحانوأغنياتعبدالوهاب وفريد الأطرش والكحلاوى وعبد الحليم .. وأغنيات عربية حديثة طعمت بكلمات فرنسية .

وأخذ البعض منهم يرقص داخل الحلقة ، ونحن نصفق .. والبعض منا يرقص وهم يصفقون ... وتوالت الأغنيات العربية فى قلب باريس ، يعزف ألحانها شباب الجزائر ، ويرددها معهم أبناء القاهرة .

وشملنا المرح ، وعمتنا النشوة ، ونبضت قلوبنا بالفرحة والأمل المشترك .

وتحول العزف من الأغنيات الراقصة الى الأناشيد الوطنية .

انهم يعزفون نغماتها ، ولا يرددون كلماتها.. وطلبت ان أسمع أغنيات لحن هزني وعرفت منهم أنه اسمه « لحن الجبل » .

وقال البعض منهم .. انهم لا يعرفون الكلمات .. وحاولوا التخلص مني .. ولكنني زدت اصرارا .

ونهض عازف الجمبش ، وانتحى بي جانبا ، وهمس في أذني قائلا :

ـ الواجب أن نكون حكماء .. وألا نردد كلمات هذا النشيد هنا.. حتى لا يتعرف عليها فرنسي أو جاسوس يعرف العربية .. فيصل البوليس الينا بعد لحظات ..!!

وفهمت السر العميق .. وتلفت حولي فلاحظت أن بعض الأخـوة الجزائريين ، يراقب الطريق .. وانهم يتبادلون الهمسات للتحذير .

وعندما سمعوا صوت أحد زملائهم من فوق الكوبري .. تحولت النغمات من الأناشيد الوطنية فجأة الى رقصات التشا تشاتشا .. !!

كان جندي البوليس المكلف بالحراسة في طريقه الينا .. والمادة ١٦ من قانون الطوارىء الذي يطبقه ديجول تحرم اجتماع أكثر من أربعـة أفراد ، حتى ولو كانوا في جزيرة صغيرة ، يعزفون الموسيقى ويرددون الأغاني !!

وقال أحدهم : « ان الأفضل لنا جميعا أن ننصرف » .وكان عددنا قد بلغ العشرين .. وقبل أن يصل جندي البوليس، كنا نتفرق أفرادا .. وكان أحدهم يقول اننا من السياح الأمريكيين ..!!

وافترقنا بلا كلمة وداع .. تفاهمنا بالقلوب .. وقدرنا الخطر الذي يتعرض له هؤلاء الذين يحملون مسئولية الكفاح في وسط البلد الذي ما زال يتشبث بالاستعمار المنهار .

واسترجعت ما سمعته عن شباب الجزائر المناضلين فى فرنسا .. انهم جميعا فى خدمة جيش التحـــرير .. لا يشربون الخمـــر ، ولا يقربون الفرنسيات ، ولا يدخلون نوادى الليل ، ولا يعرفون الانحلال ..وهم يقدمون خدماتهم وحياتهم فى بسالة واصرار من أجل تحرير بلدهم .

نسيت أن أقول .. انه كان قد أعلن وقف المفاوضات للمرة الثانية ، قبل هذا اللقاء ، الذى تحول الى أروع الذكريات .. قبل ذلك اليوم بيوم واحد فقط ..!!

خواطر :

* شاهدت فى باريس دبابة ، يقف فوقها الحمام ، لا تزعجه خوذة الجندى ، ولا مدفعه الرشاش .

الجندى كان يبتسم سعيدا بالحمام .. لعله يأمل فى عودة السلام الى أرض الجزائر حماية لحياته وحياة شعبه .

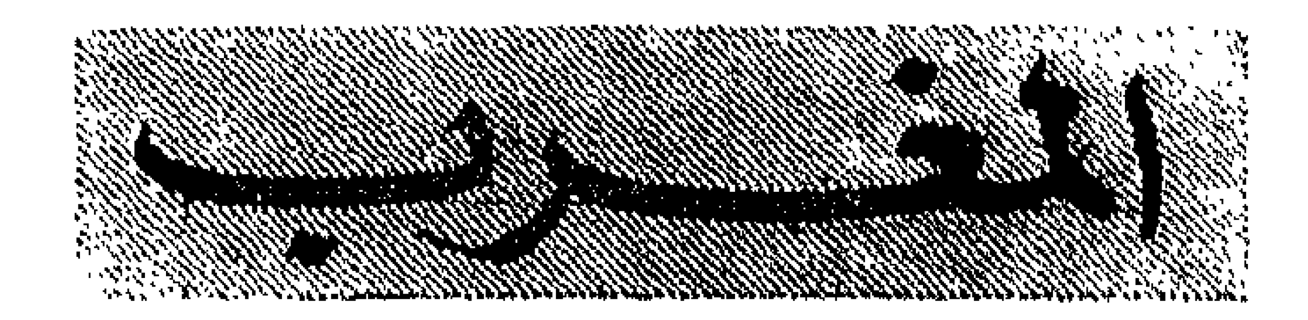
* تكاد تختفى من باريس تسريحات الشعر المعقدة للسيدات .. التسريحات الجديدة تتميز بالبساطة وعدم اسدال الشـــعر على الجبهة أو رفعه كالمظلة الى أعلى ..!

* المسارح فى باريس ، تسجل فى اعلاناتها الوقت الذى تنتهى فيه المسرحيات .. هذا الوقت يكون دائما قبل منتصف الليل ، حتى يلحق الناس قطارات المترو .

اذا كانت المسرحية طويلة بدأت مبكرا .. ولعلنـــا نطبق هذا فى القاهرة ، رحمة بالناس من تكاليف المواصلات .

* الدول الافريقية فى اليونسكو ، أقامت حفلة مشتركة .. رقص طالبات وطلبة البعثات التعليمية على نغمات الطبلة والرق .. والجلاليب البلدى فصلت فى باريس ..!




المغرب

الدار البيضاء ليست عاصمة المغرب ، ولكنها أجمل البلاد هناك وأكثرها حركة ونشاطا .. مطار الدار البيضاء تهبط فيه كل الطائرات وهى تجذب السائحين والتجار معا .. فيها رقى المدينة ونشاط التجارة وروعة الفن .

والدار البيضاء أقرب المدن الى العاصمة « الرباط » .. المسافة بينهما بالعربة لا تتجاوز الساعة على طريق سهل ممهد .. وفى الرباط قصر الملك محمد الخامس وقصر الحكومة .. وهى مدينة صغيرة رائعة النظافة ، لا ترتفع مبانيها أكثر من خمسة طوابق ، أجمل فنادقها يسمى « تور حسان » تشرف عليه الحكومة وترتفع فوقه أعلام خمس دول يعيش سفراؤها فيه .

ولنا هناك مركز ثقافى ما زال فى بداية الطريق يحتاج الى عناية واهتمام كبيرين حتى يكون جديرا باسم جمهوريتنا التى يحبها الناس لأنها تحمل اليهم رائحة العروبة التى تسرى فى عروقهم مسرى الدماء .

حقيقة أنك لن تجد عربيا لا يتحدث الفرنسية ،

ولـــكنك أيضا لن تجد عربيا ينبض قلبه بحب فرنسا .. الـــكل هناك يؤمنون بعروبتهم ويعملون على دعم قوميتهم ودينهم ولغتهم ، وينزعون القيود التى فرضها الاستعمار فى احتلاله الطويل لهم منذ عام ١٨٨١ .

والفنون فى المغرب لها أسمى مكان .. فى كل مدينة صغيرة أو كبيرة يوجد مسرح مكتمل المعدات ، كثير من الفـــرق الأجنبية فرنسية ، وأسبانية وعربية تقدم عرضها هناك وتلاقى من الاقبال ما يشجع الفنان ومن النقد ما يفيد الأعمال الفنية .

الاذاعة المغربية هى التى تدعو الفرق الأجنبية وهى التى تتعـــاقد معها على اقامة حفلات فى مختلف البلاد ..

وأغرب الظواهر التى كانت فى المغرب هى مدينة طنجة .. لها مطار خاص وجمارك خاصة وبينها وبين بقية بلاد المغرب حدود جمركية حتى على الطرق البرية .

طنجة كما تعـــرف كانت ميناء حرا دوليـــا تلتقى فيها بالمهـــربين والجواسيس والقتلة وكل الضالين من الأجناس المختلفـــة : كالاسبان والهنود والفرنسيين والايطاليين .. أما السكان العرب فكانوا يعيشون فى مأساة .. كانوا غرباء فى أوطانهم ، المدينة تغرق أمامهم فى طوفان من الانحلال والخطيئة ولا أحد منهم يستطيع دفع هذا الطـــوفان الذى يكتسح أمامه كل القيم .

ولكن فى زيارتى لطنجة شاهدت تبدلا جديدا .. أبنـــاء المغرب فى كل المراكز الرئيسية ، النفوذ الأسبانى يتضاءل ، عمليـــات التهـــريب والسرقة تقل وتنكمش .

الانحلال يزول ، النوادى الليلية تكاد تكون خالية ونساء الليل لا تجدهن فى الطريق وتجار السوق السوداء بدأوا يهاجرون .. وأخذ الميناء يتحول الى مدينة مغربية ..

لن يتم ذلك فى أيام وأسابيع ولكن طنجـة فى الطريق ، وغدا تلغى الحواجز الجمركية بينها وبين مدن المغرب أو تتحول الى ميناء حر معترف بـه ..

من الشمال .. الى الجنوب

وكثير من مدن المغرب ، تقع على المحيط الأطلنطى .. ترى البحر وتشرف عليها الجبال خضراءيانعة عليها أشجار الفواكه ومن تحتها الخضر وكل من يزور المغرب لا بد أن تأخذ لبه الطبيعة الفاتنة .. الجبال الخضراء والبحر الممتد والحقول المزدهرة وجداول الماء ، ونظافة المدن .

ومدن المغرب تمتد من البحر الأبيض الى ما يصل قرب خط الاستواء .. مراكش .. التى كانت تسمى المغرب باسمها سابقا هى مدينة شرقيـة تقع على خط عرض جنوب أسوان وحرارتها مرتفعة فى شهور الصيف .. وهى فى الشتاء مشتى جميل .

ومع هذا فانه الى جوار مراكش جبال يعلوها الثلج يتزحلق الناس فوقها فى الصيف وفى الشتاء .

وفى هذه المدن المتناثرة يعيش ٨٠ آلف جزائرى مهاجر كلهم يعملون فى قضية التحرير ، يساهمون بالأموال والأرواح فى معركة الجـزائر ، وهناك مكاتب دائمة لحكومة الجزائر .

ولا تخلو المغرب من وزير أو مسئول من حكومة الجزائر .. والملك محمد الخامس يرعى قضية الجزائر تماما كما يرعى قضية بلاده .

والناس جميعا يتجهون بقلوبهم الى البلاد العربية المجاورة يأملون يوما أن تتحرر كل بلاد العرب ليصبح السفر ممكنا على طريق برى يمتد

من طنجة الى طرابلس والقاهرة وبيروت ودمشق وغدا تتحرر الجزائر وتتحرر فلسطين .. ويلتقى كل العرب .. وهذا هو الهدف الذى يجتمع من أجله مجلس الجامعة هناك فى الدار البيضاء أجمل مدن المغرب العربى .

زفة العيد

وجه لى مولاى أحمد العلوى وزير الأنباء والسياحة فى حكومة المغرب الدعوة لحضور صلاة العيد فى القصر الملكى .

وقبل أن تعلن الساعة التاسعة كان يتحرك معنا فى ثلاث عربات من مبنى الوزارة الى القصر وكان معنا بعض السياح والصحفيون الأجانب .

وموعد الصلاة فى المغرب يختلف قليلا عن مواعيدها عندنا ..صلاة العيد فى التاسعة صباحا وليست مع شروق الشمس .. وصلاة الجمعة فى الواحدة أو الثانية وليست مع موعد صلاة الظهر باعتبارها صلاة للجماعة .

والعيد أيضا كان فى المغرب يوم الجمعة أى بعدنا بيومين ..

وما أن أشرفنا على القصر الملكى حتى رأينا الجنود فى ملابسهم العربية الزاهية المتنوعة يركبون الخيل أو يقفون صفوفا حول القصر .. ومن خلفهم أبناء الشعب فى ملابسهم الجديدة تنطق وجوههم بفرحة العيد ، وهم يهللون ويكبرون .

وفى ساحة كبيرة أقيم سرادق صغير .. اجتمع فيه كبار رجال الدولة وسفراء الدول الاسلامية ونزل اليهم الملك الحسن الثانى . فى الساعة التاسعة تماما ثم تبادل معهم التهانى وأقام الصلاة .

ثم أحضروا اليه كبشين كبيرين . ذبح أحدهما بيده .. وما أن سالت دماء الضحية ، حتى ارتفعت الأصوات بالتكبير وأطلقت المدافع ايذانا بالعيد .. وحملت الضحيتان فى عربتين من عربات الجيب وهما يزفران الزفرات الأخيرة فى الحياة مرتا بهما على الجماهير المحتشدة حول القصر .

وبدأت زفة العيد .. الملك على حصانه فى ملابسه العربية التقليدية ، ومن خلفه بعض رجال الدولة ثم « تنابلة السلطان » فى ملابسهم الخضراء .. ولمعت عدسات التصوير تلتقط صور هذه « الزفة التقليدية » وهى تعبر طريقها من السرادق الى مقر التشريفات الملكية .

والحقيقة اننى شعرت ببهجة حقيقية وأنا أشاهد هذا الاحتفال الذى يجتمع فيه الملك مع الشعب احتفالا بعيد الأضحى .

وتذكرت تقاليدنا البسيطة فى الاحتفال بالأعياد ومولد النبى وخاصة فى القرى عندما يخرج الفلاحون فى جماعات يمرون على الدور المختلفة ويتبادلون التهانى والترحيب منذ شروق الشمس حتى صلاة الظهر .. أو فى مولد النبى عندما يقيمون زفة تطوف حول القرية ترتفع فيها أصوات الذكر مع نغمات الطبول والصاجات وكلمات المداحين .. وتقابلها فى كل مكان الزغاريد .. وتتحول القرية الى كرنفال شعبى يتكرر كل عام .

اغرب مدينة فى العالم العربى

شاهدت اليوم أغرب مدينة فى العالم العربى .

مدينة فى المغرب تسمى « مليليا » على شاطىء البحر الأبيض ، مازالت تحتلها أسبانيا وليس هناك فاصل واضح بينها وبين المدينة المغربية الناضور .. اذ أن الحدود بينهما تقوم وسط شارع واحد .

الجنود فى ملابسهم الكاكى ، أكثر عددا من المدنيين .

انهم يزحمون شوارع المدينة الصغيرة حيث اعتــاد الأسبان أن يمنعوا مرور العربات فى الشوارع الرئيسية فى فترة الغروب والليل .. حتى ينعم الناس بالسير فيها والجلوس على المقاهى بلا ازعاج .

وبين هذه المدينة ، التى يتاجر فيها بكل العملات .. وبين محافظة « الناضور » المغربية حدود وحواجز جمركية .. ولا يمكّن الانتقال بين البلديين الا بعد اتخاذ الاجراءات الكاملة للمسافرين ..!

عندما دعا محافظ « الناضور » المسرح القومى لتقديم حفلة مسرحية فى مقر محافظته .. كانت هذه هى المرة الأولى التى تزور فيها فرقــة مسرحية عربية هذه المدينة .

وأعد لنا المحافظ فندق المبيت فى « مليليا » .. واستغرق انتقالنا من الناضور اليها ساعة كاملة . . لانهاء الاجراءات الشــكلية للانتقال بين الدولتين ..!

وفضلنا عدم العودة اليها بعد التمثيل حتى لا يتكرر الانتظار .

وعندما سألت محافظ الناضور الشاب الوطنى عن قصة « مليليا » .. قال انها عربية تماما .. وانها لا بد ستعود الى المغرب العربى .

ويزداد عجبك عندما تعلم ان مليليا لا يتجاوز سكانها ثمانين آلفا .. وضع فرانكو بينهم ٣٥ ألف جندى أسبانى . . أى قدر عدد الجيش المغربى !!

متى تعرف أسبانيا .. أن مثل هذا العدد من الجنود لا يمكن أن يمنع هذه المدينة الصغيرة من العودة الى الوطن الأم .

الرباط ــ فرنسا تغير مواعيد صلاة الجمعة !!

كل شيء فى المغرب جميل ..

الطبيعة والناس أيضا .. وأهم صفة تلحظها هناك الأدب الجم الذى يتحلى به كل انسان ، لا تلحظ الغضب على وجه أحد ، ولا تشاهد معركة تلتحم فيها الأيدى ونادرا ما يفقد أحد الناس أعصابه .

والناس فى المغرب يتكلمون الفرنسية حتى البسطاء الذين لم يتعلموا .. واللغة العربية تنطق بلهجة خاصة ليست بعيدة من لهجتنا وليست عسيرة الفهم ولكنها تبدو للزائر الجديد ذات وقع موسيقى غريب .

ورغم أن الألسن هناك تنطق الفرنسية الا أن القلوب كلها عربية.. وعقول الناس تفكر بلغتهم الأصلية التى حاول الاستعمار أن يدمرها ويلاشيها ويفرض لغته على العقول والقلوب .

صلاة الجمعة بالتناوب

ومن أغرب ما لاحظته فى المغرب أن صلاة الجمعة لا تؤدى فى وقت واحد فى كل المساجد .

كانت الساعة الواحدة والنصف عندما شاهدت بعض موظفى سفارتنا فى طريقهم الى المسجد ولما تعجبت علمت أن صلاة الجمعة تؤدى فى المساجد بالتناوب تبدأ فى الثانية عشرة وتنتهى قرب الثالثة .. مسجد ينتهى ويبدأ الآخر وهكذا ...

وعلمت أن ذلك كان حرصا من الاستعمار على ألا يتجمع الناس فى المساجد فى وقت واحد للصلاة خشية أن يؤدى اجتماعهم الى الثـــورة والانفجار .

ولا عجب فان الفرنسيين هناك كانوا يعيشون فى رعب ، يقيمون بين الأحياء العربية والأحياء التى يعيشون فيها سورا يمنع وصـــول الناس اليهم ..

ولكن اليوم تهدمت الأسوار وأصبح شعب المغرب يعرف طريقه فى مجموعة الدول الحرة المستقلة .

أيام لها رحيق خاص

أشعر أحيانا أن حياتى تكاد تصبح راكدة مثل بركة المياه الآسنة .. لا شيء يهتز فيها ولا يتحرك .. كل شيء يهبط الى القاع .. وأحس أن خيوطا من الملل تنسج حولى كبيت العنكبوت ، تقيدنى وتكاد تخنقنى .. وان الرتابة التى يمضى عليها اليوم ، تدفعنى الى الكسل الذى يجمد أفكارى ، ويحول رأسى الى صخرة صماء .

وأنا لا أطيق أن أتحول الى جسم يتحرك ولسان يتكلم ، ونظرة زائغة وأفكار متعثرة .

هنا أشعر بالقلق يجتاحنى .. أطلب الهرب من هذا الجمود ، كما تهرب الفريسة من صياد يقطع عليها الطريق .

كل شيء جديد يهز حياتى ، ويثير أفكارى ، ويدفعنى الى النشاط الجسمى والعقلى ، ويعيد الي الحيوية ، ويعمر حياتى بالذكريات .

وقد أمضيت فى المغرب عدة أيام ، تختلف تماما عما تعودته فى حياتى اليومية .. كل شيء فيها كما يبدو غريبا وشاذا ، لا يمكن أن يفعله الانسان مختارا .. ومع هذا كان لهذه الأيام مذاق خاص ، لا يضيع من النفس فى سهولة .

ولعل أغلبنا قد تعود أن يبدأ يومه بالاطلاع على الجرائد فى الصباح .. وتناول شراب ساخن مع الفطور .. ثم الذهاب الى العمل .. والعودة الى الدار للغداء والنوم ثم الاستعداد لاستقبال الليل كل بطريقته الخاصة التى يرتاح لها ويسعد بها .

ولكن أيامى فى المغرب .. حطمت كل هذه القواعد .. وتبدأ القصة بعد افتتاح مهرجان مسارح دول البحر الأبيض المتوسط ..

والمغرب بلاد الطبيعة الفاتنة .. مساحته شاسعة ، والمسافات بين مدنه طويلة ، ولكنها ترتبط جميعا بطريق ممهدة . والتفكير فى السفر عندهم يختلف عنه عندنا تماما .

نحن نفكر مثلا ، قبل السفر من القاهرة الى الاسكندرية ، والمسافة بينهما لا تتجاوز ٢٠٠ كيلو متر .. وأظن ان أحدا لا يجرؤ على السفر بالسيارة من القاهرة الى سوهاج فى يوم واحد .. واذا ارتحلت عائلة الى مرسى مطروح ، أعدت لذلك العدة قبلها بأيام طويلة ..

أما هنا فى المغرب .. فانهم يسهرون مثلا فى الدار البيضاء ، ويبيتون فى الرباط ، والمسافة بينهما ١٠٠ كيلو متر .. وأحيانا يلبون دعوة للغداء فى مكناس ثم يعودون والمسافة ١٥٠ كيلومترا .. ويصحب الرجل أسرته لتمضية عطلة الأسبوع على الشاطىء فى طنجة والمسافة تزيد عن ٤٠٠ كيلو ..

وهكذا السفر لمسافات طويلة من الأمور العادية ، التى يقبلون عليها كثيرا .. ومن هنا تبدأ قصة هذه الأيام ..

أبلغنى الكثيرون أن أهالى مدينة (اوجدا) يطلبون حضور المسرح القومى .. لأنه لم يذهب الى مناطق الشمال .. وان فرقة مسرحية عربية لم تزر مدينتهم منذ أكثر من عشر سنوات ..

وافقت على السفر بلا تردد ، وخاصة عندما علمت أن هذه المدينة ، تقع قريبا من الحدود الجزائرية وان بها قيادة جيش التحرير على الحدود .

وعندما سألت عن المسافة قالوا فى بساطة (انها ٦٩٠ كيلومترفقط ، تقطعها العربة فى ثمانى أو تسع ساعات . . ثم نقوم بالتمثيل فى نفس الليلة ..

وبدأت رحلتنا من الدار البيضاء متأخرة قليلا . . اذ تحركنا فى العاشرة والنصف .. وسبقتنا عربة صغيرة ضمت عددا من الممثلين الذين تحتاج صحتهم للراحة والعناية .

وكان اليوم حارا .. وتزداد الحرارة كلما ابتعدنا عن البحر، ودخلنا منطقة جبال الأطلس .. وفى مكناس توقفنا للغداء .. ولكن المطاعم جميعا كانت قد انتهت من تقديم الطعام .. فانهم يتبعون النظام الفرنسى الذى تقدم فيه وجبة الغداء من الثانية عشرة ظهرا الى الثانية مساء فقط .

وارتضينا الجوع ، وأقبلنا على المثلجات .. وعندما بدأنا نتحرك ، كانت العربة قد احتاجت الى اصلاح امتد ساعة كاملة .

ثم وصلنا (فاس) والساعة تشير الى الرابعة والنصف .. والخريطة تشير الى أن (فاس) هى منتصف الطريق .

وبدأنا نجرى عمليات حسابية ، نحدد موعد وصولنا الى المسرح ، ويأخذنا التفاؤل الى أن الستارة ، لن تتأخر عن موعدها .. والتقت رغبة الجميع فى الذهاب الى المسرح أولا ، دون المرور على الفندق للنظافة وازالة تراب السفر .

واصلنا المشوار الطويل .. دون طعام .. ولعل هذا كان خيرا لنا فى هذا الجو الحار .. وبين المناظر الرائعة التى تتغير وتتلون ،والجبال التى تعلو حول الوديان الخضراء ، واصلنا رحلتنا حتى الغروب .. ثم تابعنا الطريق فى الليل .

وبدأت أحصر الدقائق .. الوقت يمر .. وموعد الستار يقترب ، والسائق يعلن أننا نكاد نصل فانه لم يبق الا ٢٠٠ كيلو فقط .. ومرة أخرى نعود الى حساب الزمن والمسافات .. ونحن نطمئن أنفسنا بأن أحد الزملاء الذين سبقوا فى السيارة الصغيرة ، لا بد وأنه سيعتذر للجمهور عن التأخير ــ اذا حدث ــ

والظلام أصبح يكسو كل شيء .. ونسمات الليل الباردة ، ترطب من حرارة حديد العربة الساخن .. ولكن القلق بدأ يثور فى نفسى ..

كيف سيتصرف الجمهور اذا وصلنا فى العاشرة ؟

ثم كيف سيتصرف اذا تأخرنا عن ذلك الموعد نصف ساعة ؟

وماذا يحدث اذا زاد التأخير عن ذلك ..؟

ولكن العربة تسرع .. والعداد يشير الى ١٠٠ كيلو فى الساعة .. وأرقام المسافات على جانبى الطريق تصغر بيننا وبين (أوجدا) .. انها الآن أقل من ٩٠ كيلو .. ثم ها هى تشير الى ٨٠ ثم ٧٠ ثم ٦٥ .. ثم ماذا حدث ؟

دخان قليل بدأ ينبعث من العربة .. ورائحة شياط بدأت تنفذ الى الأنوف .. وأوقف السائق العربة وترددت صيحة جماعية .. (يوه .. هوه احنا عندنا وقت) ..

ولكن .. ما الجدوى والعربة تتعثر .. تقف والدخان يكاد يغلفها .. والسائق يجازف بالسير بها أحيانا .. ولكنها لا تواصل السير وتتعطل ..

ونزلنا جميعا من العربة .. الظلام كثيف .. والقلق يهدأ ويتحول الى يأس مرير .. محاولات اصلاح العربة لا تنجح .. لا سبيل أمامنا الا البقاء فى الطريق .. ونحن على بعد ٦٠ كيلو من الجماهير التى تنتظر رفع الستار ..

وليست هناك عربات على الطريق .. لم يعد هناك أمل .. وتحركنا نحو احدى البلاد .. يبدو أنها مركز من مراكز البوليس .. وأضواء الكهرباء فيها تضىء الطريق .. ولكنها كالسراب لاتحمل لنا شيئا .. الشوارع خالية تماما .. والدكاكين مغلقة .. والمدينة تبدو كالمهجورة .. والليل يكاد ينتصف .

وسرنا معا كالقافلة الحائرة .. نبحث عن نجـوة .. حتى سمعنا من بعيد صوت مذياع ودكان مفتوح لا بد أنها مقهى ولا بد أن هناك شرابا وطعاما .. فنحن لم نأكل منذ الصباح .. الا أطعمة جافة قليلة كان يحتفظ بها بعض الزملاء ..

ومضى بعضنا يجرى ليكون أول الواقفين على الخبر المنتظر ..ولكن الصدمة لهم كانت قاسية .. كان دكان أحذية ، يسهر فيه صاحبه يرتق النعال وهو يستمع الى المذياع ..! المحل الوحيد المتيقظ كان محـل أحذية ..!

وبحث لنا صاحب المحل عن صاحب مقهى مجاور .. فتحه لنا ولم يكن فيه شيء سوى بعض المياه الغازية المحلية .. فقد كنا فى منطقة شعبية ، الناس فيها أمامنا كانوا نائمين على الأرصفة ..!

وحضر لنا البوليس ، واتصلنا بالمسرح فى أوجـدا .. وعلمنـا أن الجمهور قد انصرف قلقا على هؤلاء الذين حضروا الى المغرب من القاهرة .. ولم تصل عربتهم حتى الحادية عشرة مساء .

ومضت بنا ثلاث ساعات فى مدينة (العيون) قبل أن يرسل لنـا عامل أوجدا « أى محافظها » عربة من عربات البوليس المكشوفة ،التى تشابه لوارى الجيش التى نشاهدها فى القاهرة .

وصعد الفنانون والفنانات الى هذه العربة التى يعصف فيهـا هواء الليل البارد .. اننا فى الطريق الى السرير بعد يوم شاق طويل .. ولكن أحدا لم يفقد أعصابه .. وكان البعض مرحا وكأنه يجتاز تجربة لذيذة سليمة .. والبعض يكبت متاعبـه ، وهو يحلم بوجبة ساخنـة وفراش يستكين له جسمه المجهد .

وعلى مشارف المدينة ، شاهدنا نارا تلتهب فوق جبل قريب ، وسمعنا من بعيد طلقات المدافع والرصاص ..

وعندما سألنا ، علمنا أن هذا من الأمور الطبيعية فى (اوجدا) التى تبعد ٤ كيلومترات فقط عن حدود المغرب والجزائر حيث تستمرمعارك

جيش التحرير الجزائرى كل يوم ..ويحرق الفرنسيون الغابات والأشجار ليحاصروا الأبطال المناضلين .. ولـكن هؤلاء لايدخلون المصيدة أبدا ويكيلون لهم دائما أقسى الضربات الباسلة .

وبعد ليلة واحدة فى (اوجدا) ذهبنا الى (الناضور) على شاطىء البحر الأبيض ، وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ هذه المدينة ، ان تشاهد فرقة مسرحية .. وكان مفروضا ان تذهب بعدها الى تطوان .

وعندما سألنا عن المسافة قالوا (٤٠٠ كيلو متر) .. وقلنا بسيطة نتحرك غدا فى التاسعة .. ونصل بالتأكيد قبل التمثيل .. ولـكنهم قالوا ان الطريق كله منحنيات ، يمضى بين الجبال فى أروع المنـاظر .. وان العربة الكبيرة تقطعه فى ١٢ ساعة ..!

ما العمل ..؟

تحركنا بعد التمثيل مباشرة ، وبعد تناول الشاى فى منزل العامل .. وكانت الساعة تشير الى الثانية والنصف ليلا ..

وتخلف بعض المرضى للسفر بطائرة صغيرة تسع سبعة أفراد فقط، وتطير بين الناضور وتطوان للتغلب على وعورة الطريق .

وتحول الأوتوبيس الى غرفة للنوم ، وأشرق علينا الفجر ونحن نمضى على طريق تحيط به الوديان الهاوية الى مئات الأمتار من كل جانب .. والبعض أعصابهم مشدودة ، لا يستطيعون النوم من رهبة الطريق .. والبعض فى أسعد الأحلام ، وكأنهم فوق فراش وثير .

وفى الصباح ، لم يتناول أحد شرابا ساخنا ، ولم يجد ماء ليغسل وجهه ، ولم يطالع الجرائد . ولم ينعم بشىء مما ينعم به فى حياته العادية.

ومع هذا فقد كانت هذه الأيام التى تغير فيهـا كل شىء فى نظام المعيشة اليومية ، هى أجمـل أيام الرحلة .. لأنها أضـاعت الركود .. وأدخلتنا تجارب جديدة .. سوف تعيش فى ذكرياتنـا .. ونتحدث عنها كأيام لها رحيق خاص .



٨

في بلاد الشمال

بدائيون فى النرويج !

مع ٦٤٠ الف نسمة فى اجمل مدن الشمال

المرأة آخر مايهتم به الرجل النرويجى !!

أصغر عواصم أوروبا سكانا ـ اذا استثنينا لوكسمبرج ـ يقطعها الانسان سيرا على الأقدام فى مدة لا تقل عن أربعة أيام .

أوسلو عاصمة النرويج سكانها ٦٤٠ آلف نسمة ولكن مساحتها واسعة تكاد تكون بلا حدود ، تختلط الطبيعة فيها مع هندسة العمران •• الغابات والحدائق والبحيرات والخلجان الصغيرة كلها تجتمع فى أسلو التى تكسوها الزهور ، وتخضر الجبال من حولها فى فصل الربيع .

أكثر بلاد الشمال فتنة ، وأقربها الى الطبيعة •• معظم دورها فيلات صغيرة بها الحدائق •• لا ترتفع فيها العمارات كثيرا •• هناك ناطحة سحاب واحدة يملكها مسيو تريجفى لى السكرتير العام السابق للأمم المتحدة .

اول قنبلة

المدينة لم تخربها الحرب كثيرا •• سلمها كويسلنج للألمان •• وهرب رجال المقاومة مع الملك الى جبال الشمال ثم عبروا البحر الى انجلترا حيث

عادوا من جديد يؤرقون أحلام الغزاة ... ومن سخرية القــدر أن أول قنبلة سقطت على أوسلو هدمت دار السفير الايطالى فى النرويج .. وكان الايطاليون حلفاء للألمان ..!

وأنت ترى فى قرى الشمال صورة حية لما رسمه « جون شتاينيك » الكاتب الأمريكى الكبير فى قصته الطويلة عن المقــاومة « عندما يغيب القمر » التى قدمت على المسرح فى القاهرة تحت اسم « تحت الرماد » .. الناس يعيشون فى هدوء عواطفهم تحت ركام من الثلوج مقاومتهم سلبية ، وحياتهم لاتعرف الثورة .. والبرد يحبسهم فى الدور ولكنهم فى النهاية ينتصرون كما انتصروا على الطبيعة القاسية التى تحيل بعض أيامهم الى ليل طويل والبعض الآخر الى نهار متصل الشمس فيه لاتغيب ..

فى دائرة القطب الشمالى ، وفى مدينة « بودوى » التى يبلغ عــدد سكانهـا ١٢٫٠٠٠ تجد حياة راقية لا تنعم بها قرية أخــرى فى أوربا .. شوارع متسعة ، ودور نظيفة ، ومطاعم أنيقة ، تنبعث منها الموسيقى ، ومحلات عامرة بالضروريات والكماليات .. ومع هذا فالناس يقاومون الأعاصير والثلوج ، ويعتمدون على صيد الأسماك ..!

مسرح صغير

فى البلدة مسرح صغير تقدم عليه الأغانى والرقصـــات الشعبية ، وتحضر اليها بعض الفرق المسرحية من أوسلو لتقدم عدة مسرحيات .. وهناك اتجاه واضح فى مدن الشمال للاهتمام بالفنون الشعبية .. كانت التحية التى قدمت لنا فى الوداع عدة رقصات شعبية من صبى فى الثالثة عشرة وأخته فى الحادية عشرة والوالد هو الذى يعزف لهما .. والرقص كان يتراوح بين رقصـات العمل والحب والغزل .. وهى تسمى هنــا رقصات الهولنجز وهى تشابه البولكا .

وفى هذه المدينة تصدر جريدتان محليتان لهما مطابعهما الخاصة .. وبها سبع مكتبات تحتشد فيها الكتب ومجلات العالم وجرائده .

هذه المدينة تبعد حوالى ١٠٠٠ ميل عن العاصمة .. والطائرة تصلها فى ساعتين ..!

قبائل متوحشة فى النرويج

هل تصدق أن هناك قبائل تعيش حياة بدائية فى النرويج ؟

هل تصدق أن هناك من البشر قوم لا يعرفون المدنية حتى اليوم.. يعيشون فى الجبال .. ينيرون بالشحم .. يهربون من المدن ؟

قبـــائل خاصة

هؤلاء القوم غير الاسكيمو ، الذين تعرف حياتهم فى مركز القطب الشمالى .. انهم قبائل خاصة هاجرت الى هذه البلاد منذ القدم .. هم سكانها الأصليون كالهنود الحمر فى أمريكا .

ما من أحد كان يعرف عنهم شيئا .. حتى سأل الزميل الأستاذ فكرى أباظه أحد رجال الصحافة المحليين عن هذه القبائل .. سأله ونحن نعبر بحرا فى الخلجان بين سلاسل جبال القطب التى تغطيها الثلوج ..وقال الصحفى أنه لا يعرف عنهم شيئا ..

وثار فكرى أباظه ثورته الظريفة وأقسم ان هذه القبائل توجد فى هذا المكان بالذات .. واتجـه الى أحـد مندوبى شركة الخطـوط الاسكندنافية المرافق لنا يسأله .. ويبدو أنه كان خبيرا بهذا الموضوع فقد أكد حديث فكرى أباظه .. وعلل تأخرهم الفكرى والمادى الى أسلوب تفكيرهم الخاص .

وهكذا أثبت فكرى أباظه أنه خبير بشئون القطب الشمالى ..!

وفكرى أباظه يزور النرويج للمرة الثانية .. زارها قبل عام ١٩٣٩ أثناء انعقاد المؤتمر البرلمانى فى أوسلو .. وأثناء اجتماعات المؤتمر أعلن السكرتير فى كلمات مرتعشة أن الحرب قد أعلنت وان هتلر قد اجتاح بولندا .. وان الطائرة الأخيرة لأوروبا تقوم بعد ساعات الى أمستردام بهولندا .

وخرج فكرى أباظة يجرى بأقصى سرعة من دار البرلمان ـ حيث يجتمع المؤتمر ـ ليلحق بالطائرة . بعد أن فكر هو وزملاؤه فى الالتجاء الى النرويج البلد المحايد الذى لا ينتظر أن يتعرض لويلات الحرب .

بطل السلام

وهنا فى ١٠ ديسمبر من كل عام يحتفل الشعب مع الحكومة باستقبال بطل السلام الذى تقرر له جائزة نوبل للسلام .. فى ستوكهولم تقدم جائزة الأدب ، وجائزة العلوم ، وفى أوسلو تقدم جائزة السلام ..

آخر من حصل على الجائزة العالم الطبيب ألبرت شفيتزر الذى استقبل استقبالا لا شك أنه حمل معه ذكرياته الى قلب أفريقيا حيث يعيش .

حياة الانسان فى لوحة فنان

من أجمل دور البلديات فى العالم .. دار بلدية أوسلو

الفن فيها تعلو كلمته .. الرسام والنحات يضعان اللمسات الرائعة فى كل زاوية من البناء عندما تقبل على دار البلدية يخيل اليك انها تحتضنك ، وفى الطريق عن اليمين وعن الشمال لوحات بارزة فى الجدران .. والمدخل

متسع ، كله من المرمر تزينه لوحات الرسام النرويجى الشهير الذى رسم لوحات مقر عصبة الأمم فى جنيف .

هرب الملك

فى كل قاعة تغطى الجدران بلوحات فنية .. فى احدى القاعات خمس لوحات تسثل هرب الملك الى انجلترا مع ٦٥ ألفا من أبناء البلاد ،وقصة المقاومة السرية ، وتعذيب الألمان ، وأخيرا فرحة الانتصار .

وفى قاعة أخرى رسومات متداخلة تغطى كل الجدران لتنقلك الى حياة الانسان فى المصنع وفى الحقل .. فى راحته على الشاطىء وهو يغنى ويعزف ويرقص ويغنى أغنيات الحب ويتبادل همسات الغرام ..فى المنزل مشاحنات الأزواج . ومعارك الأطفال .. اللعب فى الشارع والبيع والشراء .. والحيوانات والجليد وقطع الأشجار والمرضى والأساطير .. كل شىء فى حياة الانسان تراه على هذا الجدار بأسلوب رائع أخاذ .

حتى منصة رئيس المجلس البلدى فوقها لوحة ترتفع سبعة أمتار تمثل جمال الطبيعة فى الربيع وفى السلام .

مجلس بلدية أوسلو انتصار للفن والذوق ..

وبلديتنا التى ستفتح بعد أسابيع .. نرجو أن يرتفع فيها أيضا رأى الفنان الى جانب رأى المهندس والمقاول .

عرايا على البلاج

البنت هنا لا تتزوج قبل الخامسة والعشرين رغم انها جميلة ورشيقة والرجل فى بلاد الشمال يهتم بأشياء كثيرة فى حياته .. ربما كانت المرأة آخرها .. كل المرافقين لنا والخطباء فى الحفلات كانوا يتحدثون عن نساء

بلادهم الجميلات ، والغيرة هنا لفظ باهت لا يشكل خطرا فى علاقات الناس ولا يعرفه الرجال ..! وعلى البلاج يستحم الناس عرايا تماما بلا خجل أو حياء ..!

الى القطب

هل تعلم آن النرويجيين قاموا بأول محاولة للوصــول الى مركز القطب الشمالى عام ١٨٩٣ وامتدت حتى عام ١٨٩٦ ثم فشلت ؟

وانهم قاموا بمحــاولة ثانية عام ١٨٩٨ وامتــدت حتى عام ١٩٠٢ وفشلت . وانهم نجحوا فى ١٤ ديسمبر عام ١٩١١ فى الوصــول لا الى مركز القطب الشمالى بل الى مركز القطب الجنــوبى فى أقصى الجنوب وسبقوا بعثة بريطانية كانت تنوى الذهاب الى هناك .

وأخيرا فان الذى وصل الى مركز القطب الشمالى للمرة الأولى فى التاريخ كانت بعثة بريطانية ولم تكن من أهل النرويج ..!

استوكهولم ..

افخم مطعم فى استوكهولم يديره مصرى

فى مطعم « ريتس » الأنيق بستوكهولم .. يقف شاب رفيع قصير .. ينحنى وهو يستقبلك ويبتسم لك وهو يقودك الى احدى الموائد الخالية .. هذا الشاب لم يلفت نظرنا ونحن ندخل المطعم .. ولكنه بعد أن أجلسنا تقدم الينا وحيانا بالعربية ثم عرفنا بنفسه قائلا :

ـ أنا بهجت من القاهرة .

ووراء عمله فى ستوكهولم قصة .. تخرج من مدرسة الفنادق فى سويسرا ، وعاد الى القاهرة حيث وجد عملا فى الكونتننتال .. وكان عليه اما أن يغمض عينيه ويترك السرقات تمضى أمامه واما أن يكشف عن الحقيقة ويقامر بمستقبله ..

واختار الطريق الأخير الشريف .. وهاجر الى ستوكهولم وهو لا يعرف حرفا واحدا من اللغة السويدية ، والتحق هناك بمدرسة للفنادق مدة الدراسة بها خمسة أعوام .. تعلم فى السنة الأولى الطبيخ وعندما عرف لغة البلاد خلع المريلة البيضاء وعاد الى عمله الأصلى «مترودوتيل» فى أفخم مطعم ..

وبهجت متزوج من سويدية حسناء وله ابن صغير .. وهو يؤمن بالمثل القائل : « لا كرامة لنبى فى قومه » !

كوبنهاجن

عندما بكت المضيفة الحسناء رغم محاولات فكرى أباظه الضاحكة !

« فيرا » اسم لا شك انه سوف يتردد فى القاهرة وأثينا وأنقرة

وطهران وبيروت وعمان وفى كل بلد أقبل منه صحفيون لزيارة البلاد الاسكندنافية .

فيرا هو اسم المضيفة السويدية الحسناء التى استقبلتنا فى أثينا وودعتنا فى كوبنهاجن ، وعاشت معنا فى الصباح وفى المساء ، عشرة أيام لا تتخلف عن حضور الطعام معنا والسهرات والحفلات ولا تختفى الابتسامة المشرقة عن وجهها ، ولا يجهدها الحديث مع كل الراغبين .. ولا ترفض الرقص مع الراقصين .. وهى دائما تشعرك انها لك .. والحقيقة انها كانت تعرف واجبها تماما .. فهى كانت للجميع ولم تكن لأحد .. !

فيرا الحسناء التى ألهبت القلوب ، بكت أمامنا .. لم تستطع أن تمنع حبات اللؤلؤ التى تساقطت من العيون ، رغم محاولات فكرى أباظه الضاحكة ..

بكت فيرا فى مزرعة على بعد ٦٠ كيلو مترا من كوبنهاجن وهى تشهد عملية ذبح الدجاج بالجملة .. فى اليوم الواحد يذبح ما يزيد عن ٢٠٫٠٠٠ دجاجة بطريقة تؤلم النفس .. وتثير الأعصاب .

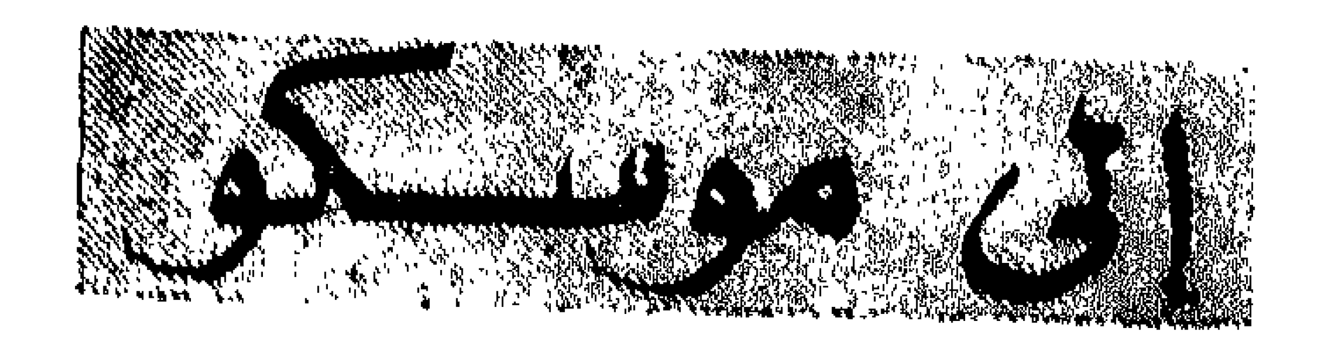
يعلق الدجاج من أرجله وتتعالى صيحات الدجاج وكأنه يشعر بالموت يقترب ويمر بعد ذلك على ثلاثة جزارين كل منهم يضرب الدجاجة على رأسها لتفقد الرشد ، ثم يذبحها بسكين .. وتمضى العملية بطريقة آلية حتى يلف الدجاج نظيفا فى ورق السلوفان .

بكت فيرا وهى تشهد الدماء .. تشنجت وتساقطت من عينيها الدموع .. ولم تستطع ان تحمل الابتسامة المضيئة على شفتيها .

ولكن فيرا فى المساء كانت تبتسم للجميع ، وكانت أيضا تأكل الدجاج ..






إلى موسكو

عندما وصلت الى القاهرة ، سمعت من بعض الأصدقاء ، الذين تفضلوا بتوديعى فى المطـــار أن الطائرة ت•ى• ١٠٤ ما كادت تلحق بنا فى الفضاء حتى اختفت فى لمح البصر .

ولا عجب •• فقد كنا بعد سبع دقائق فوق البحر الأبيض المتوسط فى طريقنا الى موسكو .

والذى يركب هذه الطائرة الجبارة ؛ يشعر بأنه سيد الفضاء فعلا ، يحلق دائما فوق السحاب • يعلو من مطبات الهواء لا هزات ولا ارتجاج •• اذا وضعت القرش على حافته ثبت فى موضعه ، واذا نظرت من النافذة رأيت الشمس تصاحبك فى رحلتك .

الطائرة كبيرة تسع ١٢٠ راكبا • ولكن الذين ركبوها من القاهرة كانوا ١٥ راكبا فقط ، تناثروا فى المقاعد ، فبدت كأنها خالية .

وفى كل مقعد أنبوبة بجهاز للأوكسجين يزود به الراكب اذا شعر بشىء من التعب .

والمضيفة لم تتصل بنا عن طريق الميكروفون • مرت على الركاب لقلتهم جماعة بعد أخرى • وأعلنت

فى لهجة وديعة .. وبلغة انجليزية سليمة أن الطائرة على ارتفاع تسعة كيلو مترات وسرعتها ٩٢٠ كيلو مترا فى الساعة .

وكان مقررا أن تصل من القاهرة الى موسكو فى خمس ساعات ونصف الساعة . ولكن عندما وصلت الطائرة الى تيرانا عاصمة ألبانيا. أبلغنا الكابتن أن الطائرة لن تقوم هذه الليلة ، وان علينا أن نمضى الليلة هناك .

وقال صلاح سالم . انها فرصة ، نرى فيها مدينـــة صغيرة . ربما انفردت بخواص معينة .

والحقيقة ان تيرانا عاصمة أوروبية تستحق التأمل .. انهـــا بلدة صغيرة بها شارع واحد كبير ومتسع . يضم الجامعة والبرلمان ومبنى الحكومة وفندق ارثى وهو أكبر الفنادق وأفخمها ومكان سيشيد فيه قصر للثقافة يبنيه الاتحاد السوفييتى هدية لألبانيا .

وسكان ألبانيا يبلغون حوالى مليون ونصف مليون ، يعيش معظمهم فى الجبال ، وهم من أجل هذا محاربون أشداء ، قاوموا الغزو الايطالى فى عنف واصرار . وحطموا على صخرة مقاومتهم أسطورة موسولينى المريضة .

ومع هذا فاللغة الثانية فى ألبانيا هى اللغة الايطالية .

وأعظم ما يفخر به الألبانيون اليوم .. هو تحول دولتهم من دولة تستورد كل شىء حتى الصابون والملح الى دولة تنتج معظم الســـلع الاستهلاكية والمواد الغذائية .

جميلة وبور سعيد

ولم نلاق فى دخولنا الى تيرانا أى صعوبات .. لم يطلب منا أحد جواز السفر ، وشركة الطيران استجابت لطلبنا بالاقامة فى تيرانا ، بدلا من فندق على البحر يبعد عنها ٤٠ ميلا .

وللجمهورية العربية سفارة هناك . وهى الدولة العربية الوحيدة التى تتبادل التمثيل مع ألبانيا ضمن ١٢ دولة فقط هى التى يوجد لها ممثلون سياسيون فى تيرانا .

ولم يكن هناك أى مجال للسهر الا فى الفندق . بعد أن دعانا رئيس اتحاد الصحافة الألبانى الى العشاء .. ومنه علمنا أن فيلمى جميلة وبور سعيد قد عرضا هناك منذ شهور ..

وأمضينا ليلتنا فى غرفتين متصلتين لهما باب واحد وفى كل غرفة سريران ..

وفى الصباح المبكر كنا فى الطريق الى المطار .. ولحظنا أن تيرانا ربما كانت أكثر المدن ازدحاما بالجنود .. فهى تعيش دائما فى يقظة لأنها ليست محاطة بالأصدقاء .. فهى لاتتبادل التمثيل السياسى مع اليونان وهى فى خصام دائم مع يوغوسلافيا .

وعدنا من جديد الى قلعتنا الطائرة . وبعد ثلاث ساعات ونصف ساعة كانت الطائرة تهبط بنا فى مطار موسكو .

ولفحة الهواء الباردة على وجهك والبرد الشديد الذى يتسرب الى قدميك .. ينبئك بأنك تقبل على موسكو التى ارتد عنها هتلر ونابليون .. عندما حارب البرد مع أهلها الغُزاة الطامعين .

الحرارة أو البرودة على وجه الدقة كانت ٧ درجات تحت الصفر .. وفوق المطار كانت تقف طائرات عديدة ، كلها قلاع جبارة . وأحدثها الطائرة ت.و ١١٤ . التى وصل بها خروشوف الى واشنطن قبل الموعد المحدد لوصوله بخمس دقائق .

وهى طائرة تجمع بين المحركات العادية . والتوربينات النفاثة ، تقوم حاليا بالعمل على الخطوط الجوية بين موسكو وبكين .

والأيام العشرة التى قضيناها فى موسكو لاتعطى الانسان صـــورة كاملة عن حياة ٢٠٠ مليون يضمهم الاتحاد السوفييتى ، ولكنها تظهر بعض معالم الطريق فى هذا المجتمع الجـــديد الذى ربط بين الأرض والقمر ..

ومع هذا فقد تركت هذه الأيام فى النفس عدة انطباعات من الاتصال بالناس فى الفندق والشارع والجامعة والمسرح والمصنع . ولعل أهم ما تحمله فى النفس من ذكريات . هو روح الشعب السوفييتى الودية نحو الأجانب .. كل أجنبى فى موسكو يلاقى الترحيب ويخلى له مكان الصدارة فى الطوابير التى تتجمع فى نظام دقيق أمام المحلات ومحطات الأوتوبيس .

الأجنبى فى موسكو له تقدير خاص . لا يشعر به فى معظم عواصم العالم .. والشعب السوفييتى يتحلى بالخصال الشرقية التى تجمع بين الكرم والاخلاص والشهامة .. ولعل الحوادث الصغيرة التالية يمكن أن تعطيك صورة من صور الحياة فى موسكو .

فى احتفالات ٧ نوفمبر ، يتوقف سير العربات ليلا فى شوارع معينة ويتدفق الناس اليها سيرا على الأقدام . يرقصون ويغنون .. وفى شارع جوركى وهو من أهم شوارع العاصمة لاحظت أن نسبة الأطفال كبيرة. وانهم جميعا فى ملابس جيدة وزاهية . وانهم محل رعاية وحنان الآباء والأمهات ..

والتقيت بوالد يحمل ابنه الصغير وهو يقبله فى جبينه ويداعبه . فى كل بضع خطوات .. وفكرت فى أولادى بالقاهرة ، وسألت الرجل وأنا أداعب ابنه عن السبب الذى جعله يخرج به وحده فى العيد .. وقال الرجل أن زوجته فى العمل وتعود بعد ساعات ..

وعندما قلت له انى لاحظت حب الآباء للأبناء . وان موسكو يمكن أن تعتبر جنة للأطفال قال الرجل وفى عينيه بريق :

ــ لقد قاسينا كثيرا فى الطفولة .. عندما كنت طفلا شعرت بالجوع والبرد .. وعندما بلغت الخامسة والعشرين دخلت الحرب . وقضينا أياما مريرة .. ونحن نود أن ينبت أطفالنا فى جو كله حب وسلام بعيدا عن متاعب الحياة التى قاسينا منها كثيرا ..

وراقبت الرجل وهو يداعب ابنه ويقبله وينصرف .. انه يوفر لابنه ما حرمه فى الصغر ..!

عندما طلبنا مقابلة البروفيسير الأكاديمى نسيميانوف رئيس أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفييتى . كان فى عمل هام خارج موسكو فى منطقة لم نعرفها ، ولكننا فهمنا أنها تبعد عن موسكو مئات الأميال .

ومع ذلك حضر العالم الكبير فى موعده ، واستقبلنا فى تواضع عظيم وأمضى معنا ساعات مضيئة .

وكذلك عندما طلب السيد صلاح مقابلة السيد محيى الدينوف سكرتير اللجنة المركزية كان يمضى أجازته بعد الأعياد خارج موسكو . ولكنه حضر .. رغم انه أبلغ بالموعد قبلها بساعات . واستقبل السيد صلاح سالم فى مبنى الحزب . وكان خاليا الا منه ، وأبى الا أن يودعه حتى الباب الخارجى ، رغم أن اللقاء كان فى الدور الرابع من المبنى .

وهكذا تشعر فى موسكو بالألفة والتواضع .

مع العالم الذى أطلق محطة الفضاء !

قابلت اليوم الرجل الذى أطلق الصواريخ والأقمار الصناعية .. الذى اقتحم الفضاء ، وحرك محطة تدور حول القمر وترسل الى الأرض الصور ..

قابلت العالم سيميانوف ، رئيس أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفييتى .

توجهت اليه وأنا أشعر بالخجل لأننا انتزعناه من عمله خارج موسكو ، وحضر خصيصا لهذه المقابلة .. مقابلة صحفيين من الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن ما أن التقيت به ، حتى أخذتنى نظرته الحانية ، من عينيه الخضراوين الصافيتين .. ولم أشعر أنى أقف أمام عالم من أكبر علماء العالم ، الأفكار التى تدور فى رأسه تحرك العالم وتكتب التاريخ .

نسيت كل شىء بين يديه ، ارتددت تلميذا صغيرا ، يرجو أن يلتقط من فم أستاذه كلمات درس سوف يلقيه .. محاذرا أن تفوتنى كلمة مما ينطق به .

وتلفت أسترق النظر فى سرعة الى غرفة المكتب حيث يعمل هذا العالم الذى يرأس أكاديمية العلوم الرئيسية فى الاتحاد السوفييتى ، والتى يبلغ عدد أعضائها ٥٠٠ عضو ، منهم ١٥٠ عضوا دائما و ٢٥٠ عضوا منتسبا (وجميعهم منتخبون) .. والتى تعتبر الأكاديمية الأم بالنسبة لأكاديميات العلوم فى كل جمهوريات الاتحاد ..

غرفة المكتب صغيرة وليست متسعة أثاثها نظيف من النوع القديم

.. يطالعك على يسارك تمثال كبير نصفي للينين وهو يضحك مقهقها..
وأمامك صورة لستالين وهو يكتب ، وعلى الحائط تنتشر صور العلماء
الروس الراحلين ..

وعلى المكتب ثلاث كرات أرضية من النحاس اثنتان يحملهما أربعة
رجال ، وواحدة يحملها نسر كبير وأمام المكتب مائدة للاجتماعات
وضع عليها العالم فاكهة وحلوى وبسكويت وأقداحا للشاى .

وجلسنا حول المائدة .. ونظرات العالم الحانية لاتستقر على شيء
أنها دائما معلقة بالفضاء خارج النافذة أو مرتفعة الى سقف الغرفة ..
عيناه الخضراوان فيهما صفاء ، وجهه ينطق بالسماحة وهو أصلع تنسدل
بعض الشعرات على رأسه وجبهته يلبس بدلة من صوف جيد ، وفى
جيبه الأمامى قلم حبر .

وبدأ العالم حديثه فى صوت هادىء عميق ، قال انه يسعده وهو
عالم الكيمياء أن يلتقى للمرة الأولى بأبناء البلد الذى كان علماؤه أول
من عرف الكيمياء فى عهد الفراعنة .

اذا استمع لكلمات المترجم له هز رأسه هزات متتالية واذا سمع
كلمة مدح ابتسم فى خجل وتصاعدت الى وجهه الدماء .. وهو ينقر
بأصابعه على المائدة فى نغمات منتظمة تنقطع فجأة .. أو تسرع ..لاشك
أنها تتأثر بما يدور فى رأسه من أفكار والمترجم يؤدى واجبه بترجمة
أقواله لنا .

انه يبدو كمن يسبح فى الفضاء ولكنه دائما يصل ما انقطع من
حديث فى ترتيب ونظام ودقة اعتادها من تفكيره العلمى المنظم وهو
يشرح لنا مشاكل الأكاديمية فى الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان
والنبات والفلك .

يشرح أعقد النظريات العلمية فى بساطة وسلاسة .. وهو دائما يردد فى تواضع أنهم مازالوا بعد كل هذه الانتصارات فى الخطوة الأولى نحو النجاح .. وكل معرفتهم اليوم لا تمثل الا نسبة مئوية بسيطة ممايجب أن يعرف عن هذا الكون الكبير .

ساعة كاملة وسيميانوف يتحدث بلا توقف ، يلتقط حبات العنب تبقى الواحدة فى يديه حتى يكاد ينساها ثم ينتبه اليها فيدفعها الى فمه .. وهكذا المشاكل يلتقطها واحدة بعد الأخرى يشرحها ثم ينثنى الى غيرها .

وعندما انتهى من حديثه ، قال انه عبر مشاكل العلم بأسرع من سرعة الصاروخ الأخير الذى حمل محطة الفضاء !!

وعقد العالم يديه على صدره وهو وضع استقر عليه فى معظم جلسته وسمح لنا بالأسئلة .

وعندما سألته هل يستطيع الانسان أن يعيش فى القمر .

ضحك ضحكة وديعة وقال (الأمر الذى لا شك فيه أن الانسان سوف يصل القمر ، ولكن حياته هناك تعتبر عملية صناعية معقدة اذ لا أوكسجين هناك ولا طعام).!

وانتقلت الى الكواكب الأخرى بعد أن عبرنا القمر ، أسأله هل توجد مياه على الكواكب الأخرى ؟

واستمرت ابتسامته الوديعة وهو يقول انه لا توجد حتى الآن معلومات مؤكدة عن حياة حقيقية فوق الكواكب .. ولكن الشىء المؤكد أن الأرض ليست هى الاستثناء الوحيد فى الكون الذى يعرف الحياة وأكثر الكواكب احتمالا لأن تكون فيه حياة هما .. المريخ والزهرة .

وعدت الى الأرض أسأله عن تأثير العلم وانفجارات الذرة فى تقلبات الجو .. وكان جوابه قاطعا بأن الانفجارات الذرية تملأ الجو بغبار

قاتل وأن لديهم تجارب تتيح لهم اسقاط المطر وأنهم يعملون على تحقيق فكرة رفع الضباب عن سطح الأرض الأمر الذى يعطل الطيران المدنى كثيرا .. وتجارب التأثير على الجو مازالت بعد فى مراحلها الأولى .

وانتقلت الى الاقليم المصرى أسأله هل من سبيل الى رى الصحراء بمياه أمطار ننتجها من البحر الأبيض المتوسط ؟.

وهنا قال العالم الكبير أن هذه مسألة اقتصادية ، لأنه من الوجهة العلمية ممكنة ، حيث أن الصحراء تحمل طاقة حرارية ضخمة من الشمس يمكنها أن تساعد فى تبخر الماء .. ولكن المعول هنا ليست أفكار العلماء ولكن موازنة علماء الاقتصاد بين تكاليف المشروع وبين فوائده وثمرته . .

وقلت له اذن كم تصرفون على أبحاثكم العلمية ؟ وقال العالم الذى يعرف كل شيء عن الأرقام . ميزانية الأبحاث العلمية للاتحاد السوفييتى ٢٢ ألف مليون روبل ، وهى للأكاديمية فى موسكو فقط ألفا مليون روبل .

ولما كان الناس فى أنحاء العالم لايعرفون حتى اليوم فى وضوح اسم العالم الذى يرتبط اطلاق الصواريخ الى القمر باسمه مثل ارتباط اسم ماركونى بالراديو وأديسون بالكهرباء .

فقد طلبت منه أن يذكر لى ذلك الاسم حتى يسجل التاريخ ذلك .

ولكن العالم الكبير أجاب بضحكة هادئة ، وقال ان الاكتشافات العلمية اليوم لاتعتمد على فرد واحد ، فهى عملية معقدة وما زال لدى التاريخ وقت طويل لكى يعرف أسماء المخترعين لهذه الانتصارات العلمية .

ووجدت أن ساعة ونصف ساعة قد ضاعت فى هذا اللقاء الذى حضر سيميانوف من أجله الى موسكو وسيعود بعده الى منطقة أجهلها ويجرى فيها تجاربه .

وغادرت مكتبه وما زالت تطالعني نظرته الحانية من عينيه الخضراوين الصافيتين .

من تيرانا

* عندما تخلفت الطائرة فى تيرانا لسوء الأحوال الجوية كانت هى الطائرة الوحيدة فى المطار .

* سكان ألبانيا مليون ونصف يقيم منهم فى تيرانا حوالى ٣٠٠ ألف .

* تيرانا بلد صغير فيه شارع واحد رئيسى تقع فيه مبانى الحكومة والجامعة والفندق والمحل التجارى الكبير .

* ألبانيا كانت تستورد كل شيء حتى الصابون .. لم تكن تنتج سوى الدخان .. ولكنها اليوم تنتج الملابس والأحذية وبعض الكماليات. الأصناف ليست فى مستوى مرتفع .

* تيرانا أبرد من موسكو .. الفنادق لا توجد فيها تدفئة والبرد فى الليل ينفذ الى العظام .

* سعر الطائرة من القاهرة الى تيرانا ذهابا وايابا ٢٤ جنيها .. وسعرها من تيرانا الى بلغراد ٣٥ جنيها . المسافة بين تيرانا وبلغراد ثلث المسافة بينها وبين القاهرة .. ولكن العلاقات السياسية بينهما متنافرة.

* الجمهورية العربية المتحدة هى الدولة العربية الوحيدة التى تتبادل التمثيل السياسى مع ألبانيا .. مجموع الدول التى لها تمثيل سياسى هناك ١٢ دولة فقط .

فى موســكو

❋ الناس هنا يضحكون على النكتة التى أطلقها خروشوف على تركيا فى خطبته أمام مجلس السوفيت الأعلى .

قال انها تشترك فى الناتو « حلف شمال الأطلنطى » وفى الساتو .. « حلف بغداد سابقا » .. وأنها على استعداد لو أخذت دولارات أن تشترك فى أى « أتون » آخر ..!

❋ تستطيع أن تلمح فى شوارع موسكو بعض الذين يقلدون جيمس دين ولكنك لن تجد فتيات يقلدن بريجيت باردو .

❋ منظمات الشباب تقاوم هذا الاتجاه بالثقافة ، وبتمزيق بنطلونات الشباب الرقيع ، كما يسمونهم .

❋ السائق الذى يدوس حمامة فى الشارع يدفع غرامة قدرها ٢٥ روبل .. الحمام ينطلق فى معظم الشوارع يلقى له الناس الطعام .

❋ الطائرة ت.ى. ١٠٤ التى أقلتنا من القاهرة كانت تسير بسرعة ٩٠٠ كيلو فى الساعة على ارتفاع ٩ كيلو متر من سطح الأرض ..درجة الحرارة خارج الطائرة كانت ٤٥ درجة تحت الصفر .!

❋ فى استعراض الجيش والشعب فى الساحة الحمراء يوم ٧نوفمبر تقام منصات جاهزة من الحديد تفك وتركب كل عام .. أليس هذا أوفر وأسهل من منصات الخشب التى تتكلف كثيرا وتبنى وتهدم .

❋ تنتشر اليوم فى موسكو عادة اعطاء البقشيش .. السبب هو كثرة السياح .

من موســكو

١ ــ كيف يقاوم المسئولون عادة الادمان على شرب الخمــور ، التى أخذت تتفشى بين الناس بشكل ملحوظ ؟

ــ لا يعطى الفرد أكثر من ١٠٠ جرام يتناولها مع الطعام .

ــ كل سائق يرتكب حادثة ويثبت من رائحة فمه أو تحليل دمه أنه تناول خمرا .. تسحب رخصته حتى اذا لم يكن هو المسئول عن الحادث .

ــ كل من يزعج أحدا وهو مخمور يأخذه البوليس فورا الى القسم حيث يمضى ليلته .

ــ كل موظف يضبط مخمورا ، تعلق فوق رأسه لافتة توضح ذلك للجمهور .

ومع هذا لاحظت أثناء اقامتى هناك أكثر من حالة سكر شديد .!

٢ ــ الطائرات فى مطار موسكو لا تطير الا اذا كانت الأحوال الجوية مناسبة ١٠٠٪ يتسبب هذا فى تأخير الكثيرين ولكن الحوادث قليلة نسبيا .

٣ ــ الطالب العربى فى جامعة موسكو يتناول ١٥٠٠ روبل ،والطالب الروسى ٣٠٠ روبل .. الجنيه ٢٨٫٨ روبل .

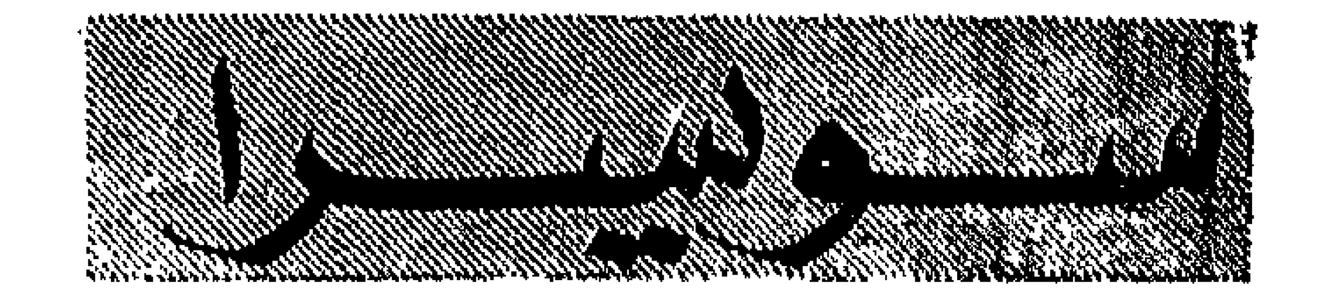
٤ ــ فى جامعة موسكو طالب أمريكى يأخذ منحة شخصية اضافية قدرها ٧٠٠ روبل شهريا لأنه استطاع أن يفك رموز لغة احدى قبائل الهنود الحمر .

٥ ــ يتحول شارع جوركى من أكبر شوارع موسكو الى مكان لسير المشاه فقط أثناء احتفالات ٧ نوفمبر .. بمنع سير العربات .

٦ ــ فى جريدة البرافدا يوجد ٥٠ محررا فى باب مع القراء ..يتلقى الباب يوميا حوالى ١٠٠٠ خطاب .. الخطابات المهمة تنشر ،والتى تحتاج الى بحث يتابعها المحررون .

٧ ــ فى مكتب نائب رئيس تحرير البرافدا اطار مستطيل يضم ٨ ساعات .. كل ساعة تتوقف عندما ينتهى طبع الصفحة التى تدل عليها .!




سويسرا

برن

المدينة التى ينتشر فيها الهبوط والصداع ••
وتتردد الشكوى على كل لسان •• المدينة التى حملت
من الماضى ضيق الشوارع وكآبة المبانى والبواكى •
المدينة التى يسكنها ٢٠٠٫٠٠٠ ألف نصفهم من
الديبلوماسيين من مختلف البلاد .

هذه المدينة الكئيبة الحزينة هى عاصمة الدولة
التى تنعم بفتنة الطبيعة والجمال •• برن عاصمة
سويسرا مدينة تستحق ألف سؤال .

مدينة صغيرة تلفها سيرا على الأقدام •• تهب
عليها رياح الغون مرة كل عدة أيام تحمل الى الناس
الصداع والهبوط وضيق التنفس .

كل قادم اليها يشكو وكل مقيم يضجر ويصبر .

مدينة خانقة لا توجد فيها مسارح ولا كباريهات
وبها ثلاث دور للسينما •• وفى منتصف الليل تطفأ
الأنوار فى كل المحلات وتغلق الأبواب ويذهب الناس
الى الفراش بأمر البوليس •• حتى ولو كانت الليلة
من ليالى الصيف أو الربيع .

ليلة واحدة هى التى يصرح فيها بالسهر بعد

منتصف الليل .. ليلة الأحـد يفرج فيها عن الناس ، يستطيعـون أن يسهروا حتى الواحـدة والنصف .. ولا دقيقة بعـد ذلك والا فان البوليس يرقب كل مكان .

والبوليس فى برن نشيط نشاطا يثير التساؤل .. ولكنهم يقولون انه يتبع أفضل أنظمة البوليس فى العالم . لأنه يرعى حياد الدولة الصغيرة التى لم تعرف الحرب مع أنها تستطيع تعبئة ما يزيد عن نصف مليون فى ٢٤ ساعة تعبئة كاملة بالسلاح والذخيرة .. رغم أن المحترفين الذين يعتمد عليهم الجيش فى التدريب لايزيدون عن عدة مئـات هم نواة الجيش الحية .

واذا مررت فى شوارع برن تذكرت فورا بواكى شارع محمد على .. ولكن المبانى هنا قاتمة جامدة حتى ليخيل اليك أنها ستطبق على أنفاسك ..

وفى كل سبت وثلاثاء ينتشر فى المدينة سوق مثل أسواق قرانا .. السيدات يحملن من الريف كل المنتجات .. الجبن والزبد والخضروات والنسيج والطيور والأرانب .. وسوق السبت والثلاثاء محترم جدا عند البوليس . يغلق له شوارع كاملة لا يصرح فيها بمرور العربات ، ويقبل الناس على الشراء بطريقة تعيد الى الذكريات سـوق بلدنا التوفيقية يوم الثلاثاء أيضا .. فصال وزعيق وشجار وبيع وشراء .. كل شىء مفروش على الأرض .

وليالى برن تثير الحسرة .. دور السينما تنهى آخر حفـلاتها فى العاشرة والنصف كل الأيام . أجمل سهرة تمضيها هناك فى بار صغير ينتشر مثله عشرات فى مدن سويسرا الأخرى ، وبه رجل يعزف على البيانو عزفا متصلا لمدة ساعات حتى انه ليخلط فى عزفه بين مختلف الألحان .. كل من فى البار يعيش مع كأسه لينسيه حاضره ويحمله فى الخيال الى نبع ذكرياته ، وموطن الحب والجمال .. وغير هذا البار لن

تجد مكانا تسهر فيه الا فى الفنادق ، وهى جميعا قديمة تعامل الزبائن بطريقة تجعلهم يقسمون الا يعودوا من جديد .

نسيت شيئا .. هناك ناد للقمار .. نعم للقمار اسمه الكورسال ولكن من حق كل زوجة أن تمنع زوجها عن اللعب اذا أبلغت البوليس وقالت أنه يصرف مصاريف البيت والأولاد على القمار .. حينئذ يتدخل البوليس ويمنع الزوج من اللعب .

شاهدت رجلا يجلس على الباب وكأنه ينصت لما يدور فى الداخل .. وأبلغنى صديقى المستشار الثقافى هناك أنه ممنوع من الدخول بأمر البوليس .. الزوجة قدمت ضده شكوى .

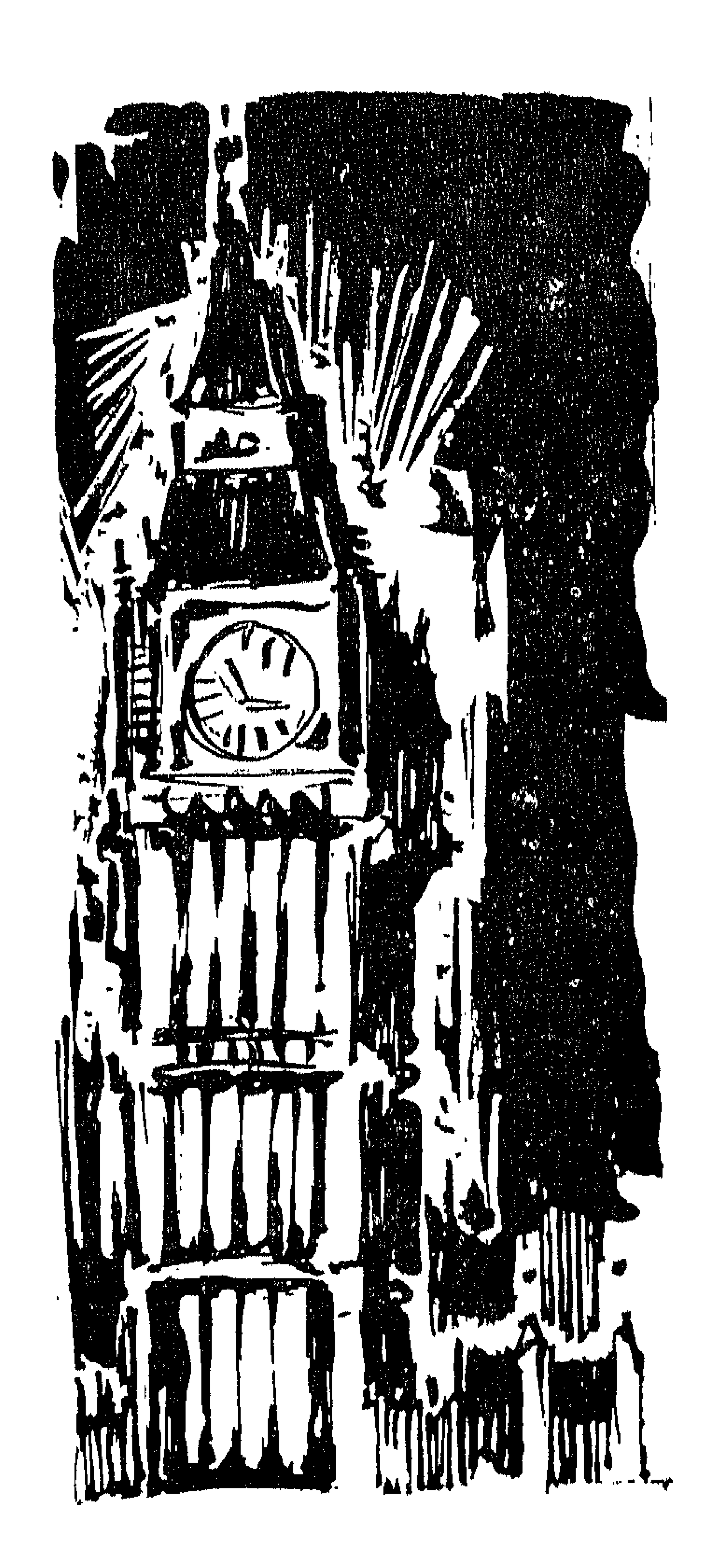
وهكذا تسعد الزوجات فى برن لأنه لا سبيل الى بعد الرجال .. فهى جنة اذا كانت الزوجة ترى فى بقاء زوجها بجانبها دائما سعادتها المتصلة ونعيمها المقيم .

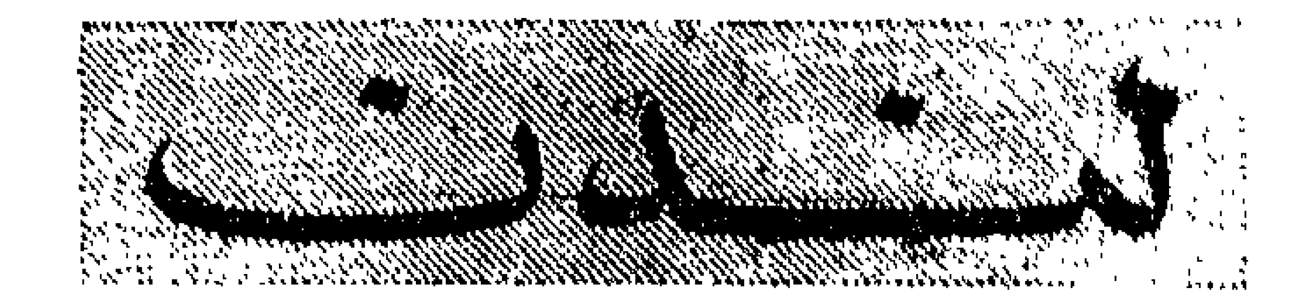
ما رأى الزوجات فى برن ؟

هل يسعدن بهذا النظام ؟ وينعمن بهذه الحياة الخاملة ؟

لا أظن ، فكل من قابلت فى برن يشكو .. سواء من السيدات أو الرجال الذين غادروا مدنهم فى مختلف دول العالم وحضروا الى هذه المدينة الشاذة فى بلد جميل .

هذه هى برن مقر عذاب الديبلوماسيين .. المدينة التى تغادرها وكأنك تخرج من سجن ضيق وتخلع ثوبا من الفولاذ ، لتستقبل الفضاء الرحيب والطبيعة الفاتنة فى سويسرا أجمل البلاد .




لندن

برتراند راسل
يجلس مع الآلاف .. على الأرض

أكتب هذه الكلمات من طائرة مغربية نفاثة ترتفع في الجو ثمانية كيلو مترات ، وتطير بسرعة ستمائة كيلو في الساعة وتنساب فيها نغمات موسيقى حالمة .

كل شيء هادىء في الطائرة ، لا هزات ولا ضجيج .. والمضيفة الحسناء تقدم القهوة تسبقها ابتسامتها الفاتنة .. وضوء الشمس يدخل من النافذة يضيء الورق ويرسم الظلال للقلم .

صوت القائد أعلن منذ لحظات أننا نطير فوق مدريد .. الجبال قممها حمراء وأرض الأندلس خضراء .. والمدن والقرى تبدو صغيرة متناثرة .. تصلها الطرق والوديان والأنهار .. لا شيء يحجب النظر .. لا ضباب ولا سحب .

أغرانى هذا الجو الهادىء بالكتابة .. فانه لا يتوفر للانسان الا فى غرفة مكتب أعدها بنفسه .. يشرف منها على منظر جميل ويسمع موسيقى هادئة ، واذا طلب شيئا كان بين يديه فى لحظات .

وحملت القلم وأنا أمضى بأفكارى مع الطريق الشاق الطويل ، الذى مضى فيه الانسان منذ كان

عاريا يحمل العصا ، يقاوم قسوة الطبيعـة ، ويدافع عن نفسـه أمام الحيوان وأعدائه من البشر .. وحتى وصل الى هذه المرحلة التي يسيطر فيها على الجو ، ويخترق الفضاء ويعلن عن موعد وصوله الى القمر .. ويسمح لي بالكتابة فى هدوء وأنا معلق بين الأرض والسماء .

أى طريق طويل ملىء بالتضحيات .. المعارك فيه تهدأ .. والنضال لايخمد ، والانسان فى النهاية ينتصر .

ولن أدع أفكارى تعود الى الماضى ، تجتر اللحظات الباهرة فى تاريخ الانسان .. ولن أترك قلمى يسجل كل ما ينبض له قلبى فى حياة البشر .. فانى أختزن ذلك الى مجالات أوسع للكتابة ، وبعد فانى منذ أسابيع وأنا بعيد عن القاهرة ، ألتقى كل يوم مع شىء يستحق التسجيل .. وأنا اللحظة فى طريقى الى الدار البيضاء ، بعد زيارة لندن وباريس.

طابع لنـــدن

ولندن عاصمة تكاد تختلف عن معظم عواصم الدول الأوروبية .. يظهر فيها واضحا أثر التقدم الصناعى .. الذى سبقت به انجلترا دول العالم بمئات السنين .. وهذا ما يجعلها تتمسك بالماضى ، وتتشبث بالتقاليد ، وتعيش فى أحلام الامبراطورية .

ولكن هذه الأحلام لم تستغرق الناس ، ولم يؤد زوال الاستعمار وتحلل الامبراطورية الى ضياع انجلترا .. فان الأموال تتـكدس فى البنوك ملايين فوق ملايين باسم التجار والمحتكرين ، الذين كانت تنمو تجارتهم بالدمار ، وتزدهر بالارهاب .

واليوم وبعد أن أصبحت حرب الأفيون فى الصين ، وتجارة الملح فى الهند ، ومذبحة دنشواى فى مصر ، واستعباد الرجل الأســود فى أفريقيا .. أصبحت كلها ذكريات يرويها التاريخ .. بدأت انجلترا تدخل

مرحلة جديدة فى حياتها ، تعتمد على خبرة الماضى . وصناعة عريقة وشعب متقدم .. ولو أن ذنبها الاستعمارى ما زال يتحرك حركته الأخيرة فى بعض الدول الا أن المصير معروف . . حرية كل الدول الصغيرة .. ومنافسة سليمة بين الدول الكبيرة فى ظل سلام تؤمن به شعوب العالم ، وتسعى من أجله .

وانجلترا تندفع فى ذلك السبيل ، تطور صناعتها ، وتتاجر مع كل الدول حتى الصين .. وصحف بريطانيا تشيد هذه الأيام ، بمعرض تجارى أقامته فى موسكو ، وحضره خروشوف فى اللحظة الأخيرة يوم الافتتاح .. وهى تستعيد أنفاسها أسرع من غيرها من الدول ، وتمتلىء محلاتها بالبضائع الانتاجية والاستهلاكية ، والقوة الشرائية ترتفع يوما بعد يوم .. وهذا ما يؤكد تماما أن الاستعمار ليس فى صالح الشعوب ، ولكنه فى صالح أفراد من الاحتكاريين الجشعين .

ولندن تضم أكثر من عشرة ملايين ساكن .. تركب فيها الأوتوبيس ــ وكلها من طابقين ــ أكثر من ساعة ، ثم تنزل فى منطقة أكثر ازدحاما يقسمها نهر التايمز قسمين .. الغرب وهو أكثر رقيا .. يضم السفارات والمناطق التجارية والبنوك والأحياء النظيفة .. والشرق وهو يزخر بالمناطق العمالية والأحياء المتواضعة .. وفى كل لندن تتناثر المسارح كالأضواء اللامعة ولكن لن تجد فى هذه المدينة الكبيرة مثل المقاهى المفتوحة التى تراها فى باريس وروما وأثينا ومدريد وبرلين .

نظام المقاهى والمطاعم يختلف عن دول أوروبا .. تصاريح الخمور لا تمنح أبدا للمحال التى تقدم وجبات سريعة مع القهوة والشاى والمثلجات والعصير .. والبارات لاتقدم الطعام وهى تغلق أبوابها فى الحادية عشرة مساء لاتتأخر .. ويوم الأحد تغلق فى العاشرة .. والمطاعم أيضا تتبع هذه المواعيد .

والمدينة الكبيرة تصبح كالمهجورة يوم الأحد من كل أسبوع .. شوارع المحلات التجارية تخلو من المارة .. ودور السينما تقدم حفلة واحدة .. والمسارح جميعها تغلق أبوابها .. ويفضل الناس البقاء فى بيوتهم أو مغادرة المدينة الى الضواحى اذا كان الجو مناسبا .. وكثير من المصالح الحكومية والشركات ، تمنح العاملين فيها أجازات يومى السبت والأحد من كل أسبوع .. ويصعب عليك أن تجد مكانا للسهر الا فى المنطقة التى تضم الملاهى فى بيكاديللى وليستر وسوهد .. وهى الملاهى الرخيصة التى يقبل عليها السياح فى كل بلد ..

وقد صدر فى لندن أخيرا قانون يمنع فتيات الليل من التسكع فى الشوارع ، وعرض أجسادهن على المارة .. وهكذا اختفى هذا اللون من الفتيات ، الذى يطفح على وجه المدن الكبيرة كالبثور ، ويظهر فى داخلها عيوبا اجتماعية ، وفروقا طبقية ، تؤدى فى النهاية الى بيع الأجساد وممارسة البغاء ، وخلت الشوارع فى هايدبارك من هؤلاء الحائرات ..

ولكن هذا لايعنى أن لندن أصبحت مدينة الفضيلة ، فان كل شىء فيها يدور خلف الجدران المغلقة ، مثل طبيعتها المتحفظة الساكنة ــ وعلب الليل فيها منتشرة .. وهى غالبا ما تكون فى بدرومات تحت الأرض ، وهو طابع سائد فى البناء ..

وتتميز لندن بنوع من الفنادق لاتجده فى الدول الأخرى .. بيوت غرفها مفروشة ، يحتفظ الساكن بمفتاح المنزل ومفتاح الغرفة .. ولايلتقى بأحد الا وقت الفطور .. الذى يتميز أيضا بدسامته الواضحة .

وأكثر ما يلفت النظر فى لندن محلاتها التجارية التى تنتشر فى كل أحياء المدينة . والتى تقدم منتجات وافرة يقبل عليها الناس اقبالا شديدا ، لانخفاض أسعارها .

وأنت تستطيع فى لندن أن تلمح أثر القنابل النازية عليها .. العمارات الحديثة الشاهقة تدل على أنها تنهض مكان منازل مهدمة .. وما زالت توجد بعض المناطق تحاط بالاعلانات ولم تبن بعد منـــذ هدمت فى الحرب العالمية الثانية ..

والناس فى لندن يتجهون الى مقاومة التفجيرات الذرية ، ومعـــاداة الروح العدوانية ، والعمل من أجل السلام .. والفيلسوف البريطانى الكبير برتراند راسل يجلس مع الآلاف على الأرض أمام وزارة الدفاع أو فى ميدان الطرف الأغر « ترافلجار » حيث يعلنون فى صمت احتجاجهم الصارخ على بعض اتجاهات الحكومة من ناحية الانفجارات الذرية .

ويستجيب معظم الناس الى هذه الحركة الســـلمية .. ويقلدون برتراند راسل بفيض من الحب والاعجاب والتقدير .. وهو الرجل الذى أشرف على الثمانين ، وما زال يدافع فى اصرار عن الحياة بكل ما فيها من صفاء وجمال .

من لنـــــدن

* مطار لنـــدن ينقسم الى قسمين . قسم لطـــائرات الشركات البريطانية والكومنولث ، وقسم لطائرات الشركات العالمية .

وقسم الشركات البريطانية ينقسم أيضا الى قسمين .. قسم لأبنـــاء انجلترا وايرلندا والكومنولث .. وقسم لأبناء الدول الأخرى ..!

كنت الوحيد من أبناء الدول الأخرى على الطائرة .. ولكن لم أخرج من المطار مباشرة .. الركاب جميعا يدخلون الى صالون ويجلسون على الكراسى ، لا يتحدث اليهم أحد لمدة ربع ساعة .. ثم يتلقون التعليمات بعد أن يسودهم الهدوء وتضيع من آذانهم ضجة الطائرة ، ويدخنـــون سيجارة .

وكان هذا أول انطباع لى عن هدوء لندن بعد صمت باريس .

* أول صدمة تلقيتها فى لندن .. هى المباراة الدولية فى كرة القدم بين بريطانيا والمكسيك يوم الخميس ثم نهائى بطولة انجلترا فى الريجبى يوم الجمعة ، ثم عطلة نهاية الأسبوع يومى السبت والأحد .. وازدحام لندن بالملايين ..

جميع فنادق لندن لا توجد بها غرفة واحدة خالية .. وأنا أحمل حقائبى وأدور عليها باحثا عن غرفة خالية لمدة ليلة واحدة ..!

* لا تغضبوا عند مشاهدة القرداتى فى شوارع القاهرة .. فقد شاهدت فى بيكادللى وهو من أهم شوارع لندن الى درجة - انهم يرفضون اطلاق اسم شارع عليه ، ويكتفون باسمه فقط حتى فى اللوحات .

أقول شاهدت فى بيكادللى رجلا عارى الصدر يحيط نفسه بالسلاسل ، يحاول فكها بعضلاته .. ورجلين وامرأة فى ملابس البهلوانات يلعبون فى الشوارع بملابسهم المخططة التى تشبه الحمار الوحشى .

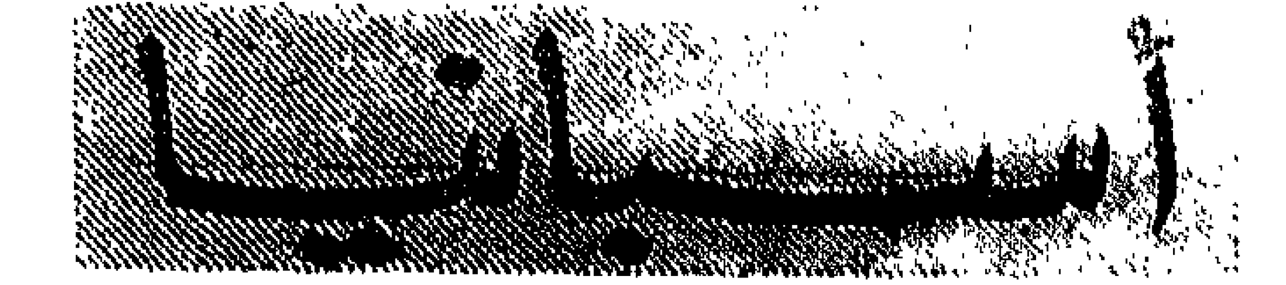
البوليس لا يتعرض لهم .. والعربات تتفاداهم ، ومئات الناس يقفون فى هدوء على الأرصفة ، يتفرجون ويدفعون لهم بعض البنسات .

* والهدوء أيضا يغلف طباع رجل البوليس البريطانى .. روى لى الصديق على خشبة قنصلنا العام السابق فى لندن ، انه شاهد اثنين يتشاجران شجارا عنيفا وخلفهما يسير رجل البوليس ، وكأن الأمر لا يعنيه .

ودفعه الفضول الى سؤال رجل البوليس ، وجاءه الجواب هادئا :

- ان أحدا لم يستنجد بى حتى أتدخل ..!




أسبانيا

مذبحة الثيران

يقولون ان الذى يزور اسـبانيا ولا يشاهد مصارعة الثيران .. يعتبر كأنه لم يزرها .

ولذا فقد حرصت على الذهاب الى حلبة المصارعة .. انها تشبه أستادا صغيرا بنى على طراز أندلسى .. والزحام حولها يبلـغ ذروته ، والنـاس يتدافعون للدخول ، تسبقهم مناقشاتهم الحادة باللغة الاسبانية التى يندر أن تسمع غـيرها طالمـا أنت فوق أرض اسبانيا .. فالناس لا يعـرفون سواها ولا يتكلمون الانجليزية أو الفرنسية الا نادرا .

وصور المصارعين تبـاع على الأبواب مع تاريخ حياتهم .. وتؤجر لك أيضا وسائد من الجلد تجلس عليها فوق الأرض الحجرية .

الحلبة من الداخل مستديرة وحولها المقاعد ترتفع الى ما يزيد عن سـبعين صفا .. وفى المواجهة بنوار عريض مرتفع يجلس فيه السادة المحكمون.. وأمامهم فى الناحيـة الأخرى يجلس بعض الموسيقيين الذين يرتفع صوت أبواقهم عنـد ما يتلقون الاشـارة من الحكام .. وهى تكون بالتلويح بمناديل بيضـاء ..

واصوات الأبواق هى التى تحدد مراحل المصارعة المختلفة .

وقد ذهبت الى الحلبة .. وكل معلوماتى هى المشاهدة ، التى رأيتها على شاشة السينما فى بعض الأفلام .. عندما يلتقى الرجل مع الثور وجها لوجه وتتم بينهما المصارعة .

ولكن .. ماذا أرى ؟

شيئا مختلفا تماما عما تخيلته .. المصارعة تقسم الى ثلاث مراحل .

المرحلة الأولى الهدف منها اجهاد الثور .. انه ينطلق بكل قوته وشبابه الى الحلقة ، فيقابله المصارع ، ويحاول هذا أن يتفاداه بحركة خفيفة بارعة .. واذا ضيق عليه الثور الخناق .. هرب الرجل واختفى خلف السور .

وهكذا حتى يجهد الثور أمام ستة رجال .

ثم يرفع المحكمون منديلا أبيض . وينفخ فى الأبواق ويدخل « البيكادور » وهما رجلان يركبان حصانين مدرعين وفى يدهما حربتان طويلتان .. وواجب البيكادور أن يغرس حربته فى جسم الثور ويديرها فيه حتى تنزف من جسمه الدماء فى غزارة .

ومن جديد يرتفع المنديل الأبيض . وتنفخ الأبواق .. وتبدأ مرحلة جديدة من مراحل التعذيب ثلاثة رجال كل منهم يمسك فى يده حربتين ويواجه الثور ثم يغرزهما فى جسمه ويفر هاربا .. ويتفصد الدم من الثور ، ويتحرك هائجا وفى جسمه ترتفع الحراب .

وبعد هذا الاجهاد الطويل ، والتعذيب المرير .. يخرج الجميع من الحلبة ويدخل « الماتادور » أى المصارع .. وهو غالبا شاب صغير .. ويقابله الناس بالتهليل والهتاف .. وكأنه يجابه ثورا حقيقيا ، لا ثورا أثخنته الجراح وغرست فيه الحراب .

وينحنى الشاب لأعضاء لجنة التحكيم ثم يلقى قبعته على الأرض ، أو يلقى بها الى احدى السيدات .

وتبدأ المصارعة .. الثور مجهد والشاب فى قمة النشاط .. وكلما تخلى الشاب عن قرون الثور بحركة بارعه ، ضج الناس بالهتاف : « هوليه .. هونيه » .

وفى المرحلة الأولى شعرت بالمرارة من التعذيب الذى يتعرض له الثور .. انه عمل غير انسانى ان يجتمع الألوف ليشهدوا ثورا يذبح على عدة مراحل .

وفى هذه المرحلة الأخيرة داخلنى الاشفاق والحزن على هذه الثيران التى سمعت بعضها ينوح من العذاب .. وكأنه يطلب التخلى عن هذه المصارعة غير المتكافئة .. ولكن الثور يجب أن يموت حتى يسعد الناس .

والماتادور يحمل فى يده مع الستارة الحمراء سيفا حادا ، ينتهز الفرصة المناسبة ليوجهه فى طعنة قاتلة الى الثور الذى يتهالك على الأرض ، وهو ينفض رجليه ، وينظر الى الناس بعينين فيهما نظرة حزن وضعف .. حتى يموت ، وتدخل الخيل وتجره الى الخارج جثة هامدة وهو الذى كان يتفجر منذ لحظات بالقوة والحيوية والشباب .

وينتظر الماتادور رأى المحكمين .. اما أن يسمحوا له بالدوران حول الحلقة لتحية الجماهير اذا كان قد أجاد .. أو يسمحون له بتحية الجماهير من مكانه .. أو لا يسمحوا له اطلاقا بالظهور أمامهم .

وهناك جوائز معنوية للمصارعين .. أحسنهم يمنح رجل ثور والذى يليه يمنح ذيل الثور ، ثم الأذنين أو أذنا واحدة .. وكثير من المصارعين

لا يمنحون شيئا .. وخاصة هؤلاء الذين يوجهون طعنة السيف الى الثور ثم لا يموت ويأخذون سيفا ثانيا وثالثا وهكذا حتى يموت الثور .

الغرض اذن .. هو قتل الثور بأى سبيل .. وكلمة مصارعة لا تنطبق أبدا على هذا التعذيب المرير والقتل البطىء والمشاهد الدموية العنيفة .. التى لا تتفق أبدا مع الانسانية .

وخرجت من حلبة المصارعة وأنا فى دهشة من اهتمام اسبانيا بهذه المذابح .. وهو الشعب الفنـان الراقص .. الذى يطرب من الموسيقى والغناء .. ويسهر حتى الصباح كل يوم يمارس حياته الفنية فى انطلاق لا نلمسه فى كثير من الشعوب .

ولم أجد لسؤالى جوابا ، الا أن تكون هناك رغبات مكبوتة عند بعض الناس تنطلق فى هذه الحلبة الذى يذبح فيها ستة ثيران فى كل يوم من أيام مذبحة الثيران .

مدريد لا تنام ..!

الساعة الآن فى مدريد الثالثة والنصف بعـد منتصف الليل .. ومع هذا فالنوم لا يطرق جفـونى وأنا لا أفكر فى الرجوع الى الفنـدق .. الحياة من حولى تضج بالأنوار والصخب والمرح ..!

شارع جران بيا يزدحم بالناس وهم يتنزهون فى هدوء كما نفعل على شـاطىء النيل بعد الغروب .. الوقت لا يبدو عندهم متأخرا والليل طويل .

مدريد لا تنام .. لا أحد يأوى الى الفراش قبل أن ينتصف الليل .. حفلات السـواريه فى السينما تبدأ فى الحـادية عشرة .. الرقص فى الكباريهات يعرض فى الواحدة بعد منتصف الليل .

ونحن الآن فى الثالثة والنصف ... ولن تعرف الوقت أبدا من الصور التى تتتابع أمامك فى الشارع الكبير ، العربات لا تهـدأ ، أنوار المرور ما زالت تعمل لم تتوقف .. سيدة عجوز تبيع الورد وأخرى تمد يدها اليك (وتشحت) .. بنات صغيرات تتعثر خطواتهن فى الطريق ، فى الفم سيجارة وفى العيون نظرة اغراء .

مسـاومات

وبين حين وآخر ترقب رجلا وامرأة يتساومان .

وتدهش اذ ترى السيدات يقفن أمام واجهات المحلات كأننا فى الثالثة والنصف بعد الظهر وسيدة تسرع مع طفلها الصغير وبعض الصبية يلعبون

ويمرحون ..وجيل من الشباب يرتفع صوته بالغناء،ورواد الكباريهات يخرجون منها ليكملوا السهرة فى المطاعم والبارات .. وتنتشر الغانيات وتشهد القبل يتبادلها الرجال والسيدات فى كل مكان .

مدريد لاتنام .. والناس يؤمنون بقول عمر الخيام :

فما أطال النوم عمرا ولا

قصر فى الأعمار طول السهر

الكباريهات والمقاهى والبارات تنتشر فى كل حى وفى كل شارع .. ولن نجد مكانا للجلوس فى سهولة .. أمضيت ساعة مع السيد فؤاد هلال مستشار سفارتنا فى مدريد نبحث عن مائدة خالية فى أى شارع من شوارع المدينة اللاهية .

الناس يدفعون بأنفسهم الى الرقص والغناء والسهر .. وكأنهم يعدون أيامهم فى الحياة .. أو كأنما يفرون من مجهول أسود .

تعمدت أن استقبل الفجر فى مدريد بعيدا عن الفراش .. الحركة لا تهدأ والناس لا ينصرفون الا عند الخامسة صباحا عندما يقبل رجال النظافة يطلقون خراطيم المياه لغسل الشوارع .

والعمل فى الحكومة والشركات لا يبدأ مبكرا ، وانه لا ينتظم فى مدريد قبل الحادية عشرة صباحا .

فوجئت فى مطعم يرتاده السياح فى أحد الأحياء الشعبية أنشأه احد القراصنة الأغنياء ليطعم فيه الفقراء منذ ٤٠٠ عام بعد أن تاب عن السطو والغزو .. أقول فوجئت بفتاة شقراء جميلة تصفع شابا على وجهه صفعة جذبت أنظار الجميع .. ثم خرجت فى خطوات ثائرة .

وسألت صديقى الاسبانى الذى كان يرافقنا فابتسم وهو يهز كتفيه قائلا : ان الفتاة هنا لا تحتمل خيانة صديقها لأنها تسلم له نفسها وتخلص له طالما قلبها يخفق بحبه .. ومعظم فتيات اسبانيا لهن « نوبيو » أى خطيب ومعظم الفتيان لهم « نوبيا » أى خطيبة ، وتمتد العلاقة بينهما سنوات وقد تنتهى بالزواج أو الانفصال .

الرقصات أيضا ... شاهدت كل أنواع الرقصات الاسبانية الفلامنكو والاندلسيه ورقصات الشمال وفى كل الرقصات كانت تخرج الراقصة والعرق يتصبب على جبينها وجسمها وآيات الجهد تبدو ظاهرة للجميع .. الرقصة هناك كالمعركة .. استعداد وتأهب وتحفز ، هزيمة أو انتصار .. وهى فن يستغرق كل العواطف والأعصاب للراقصة والمتفرجين .

همسات أسبانية ..

* القسم النسائى فى الحركة القومية « حزب الفالانج » هو الذى يشرف على الفنون الشعبية فى كل المقاطعات .

* رغم ان مدريد تسهر حتى الصباح الا أن جميع المنـــازل تغلق أبوابها بالمفاتيح فى العاشرة والنصف مساء .. ويحمل المفـــاتيح حارس خاص يعين على عدة منازل ولا يحمل السكان مفاتيح خاصة بهم .

* كل المحلات تغلق فى اسبانيا أيام الآحاد والأعياد .. حتى باعـــة السجاير والحلاقين والبقالين .

* عدد السياح الذين حضروا الى اسبانيا هذا العام بلغوا خمسة ملايين رغم ان الأسعار ارتفعت ٣٠٪ فى المدة من ديسمبر الى نهاية ابريل من هذا العام .

* مبنى مطار مدريد الجديد لم يتم بعد .. بدىء فى تشييده منذ ستة أعوام .

* الشقق فى مدريد لا تؤجر ولكنها تباع .. والشقق التى تؤجر تكون مفروشة حتى يستطيع المالك أن يخرج الساكن عندما يريد .

* الراقصـــة فى كباريهات اسبانيا يجب أن تشرب على حســـاب الزبائن عددا من الكئوس كل ليلة والا فان ذلك يخصم من أجرها الذى تتناوله .. الراقصة تأخذ عشرة قروش عن كل كأس ثمنه جنيه !!

* اذا كنت لا تعرف اللغة الاسبانية فانك ستشعر بالضياع .. نادرا ما تجد أحدا يكلمك بالانجليزية أو الفرنسية .

* الاسبانيون يقولون بأنهم تعرضــوا لكثير من أنواع الغزو .. ولــكن الغزو الوحيد الذى حمل اليهم الحضــارة والثقافة كان الغزو العربى .

* لا توجد فى اسبانيا مساجد ولا يوجد مسلمون .

* أرخص ما تشتريه من اسبانيا السيجار لأنه توجد معاهدة للتبادل التجارى مع كوبا بلا ضرائب أو جمارك .

* بين بلنسيا وبرشلونة بلد اسمها « الطاف الله »

* هيلتون مدريد ليس أفخم فنادقهــا . انه الفندق الثالث بعــد ريتزد بالاس .

* قصور النبلاء لا يدخلها الا من يحمل ألقاب الشرف !

* ٣٠٫٠٠٠ راهب تخرجهم كنيسة اسبانيا كل عام !

* مدينة الليل .. تسهر حتى الفجر .. وتصحو ظهرا !

عندما هبطت الطائرة فى مطار مدريد .. كان قد مضى على زيارتى الأولى لها عامان كاملان . فى المرة الأولى كانت أول كلمات سمعتها ،ان المطار الجديد يبنى منذ سبعة أعوام وأنه لم يكتمل بعد ، وفى هذه المرة تكررت نفس الكلمات ، فان المطار الجديد ، لم يتم بعد ، رغم مضى تسع سنوات كاملة على وضع حجر الأساس ..!

واتجهنا الى المبنى الصغير، الذى لا يكاد يتسع للقادمين والمسافرين، والذين يتضاعف عددهم عاما بعد آخر .. فان اسبانيا أصبحت من أشهر بلاد أوروبا السياحية ، وخاصة فى فصل الربيع .

والذى يعيش فى اسبانيا ، أو يدخلها بعد أن يغيب عنها فترة .. يلحظ الارتفاع السريع فى معدل الأسعار .. فبعد أن اشتهرت اسبانيا بأنها من أرخص بلاد أوربا ، ضاعت عنها هذه الشهرة .. وأصبحت الأسعار فيها تتعادل مع أسعار فرنسا وايطاليا .

واذا بحثت عن السر .. فلن يجهدك معرفته .. ولن يطول بك الوقت .. لتصل الى الحقيقة .. التى يرددها كل الناس علنا ، وهم يزفرون الكبت والضيق .

انهم الأمريكان !

منذ أن وطئت أقدامهم أرض اسبانيا .. وأقاموا بها عدة قواعد عسكرية وذرية .. والأسعار ترتفع وترتفع .. والشعب يشكو ويشكو . والكل ينتظر عام ١٩٦٣ عندما تنتهى مدة الاتفاق على بقاء القواعد العسكرية .. وبذور الخوف فى كثير من القلوب خشية ، أن تطيل الحكومة عمر الاتفاق .. ويستمر « اليانكى » فوق أرض اسبانيا .

والمنطقة التى يعيش فيها الأمريكان فى مدريد .. هى فى اتجاه قاعدتهم العسكرية «توريخون» تقع على جانبى أجمل شوارعها وأعرضها والذى يسمى « الخنراليزمو » نسبة الى فرانكو .. وهم ينطقون كلمة الجنرال فى اسبانيا « بالخاء » !

هذه المنطقة بنيت منذ سنوات قليلة .. وانتشرت فوقها العمارات الحديثة .. وشارع الخنراليزمو يقرب فى عرضه من شارع الشانزليزيه فى باريس .. ومعظم سكان العمارات من الأمريكان « يسكنون فى أكثر من ... شقة » .. ولذا فان المحلات القليلة المتناثرة هناك تضاعف أسعارها عدة مرات عن أسعار مدريد القديمة .

ومع هذا فالأسعار ترتفع يوما بعد يوم .. كيلو اللحم كان سعره ٧٢ بيزيتا عام ١٩٥٧ ، والبيزيتا تساوى ٦ مليمات بالسعر الرسمى .. وأصبح اليوم ١٢٠ بيزيتا ..!

اسلوب غريب فى العمل

ومرتبات موظفى الحكومة والطبقة العاملة تعتبر منخفضة جدا ، اذا قورنت بالمرتبات فى أى دولة أوربية ..

ومع هذا فانهم يمارسون حياتهم فى انطلاق كامل .. ولا تشعر أبدا أنهم يعانون من الفقر الشديد . وتأخذك الحيرة .. وتغريك هذه المظاهر بالبحث والتنقيب .

وتزداد حيرتك عندما تصل الى جذور المشكلة .. الناس فى اسبانيا لا تقيدهم الوظائف والقوانين الجامدة .. الموظف البسيط يبحث لنفسه عن عمل آخر فى أى مصنع أو شركة .. بل ان بعض ضباط الجيش ، يمارسون أعمالا مدنية اضافية فى أوقات فراغهم ..!

السهر حتى الصباح

والناس فى مدريد يمارسون حياتهم فى انطلاق ، وكأنهم يسهرون الليلة الأخيرة فى الحياة .. مما جعل لمدريد طابعا خاصا بين عواصم العالم .. انها مدينة الليل .. معظم الناس يسهرون حتى الفجر .. ولا تنتظم الأعمال تماما قبل الحادية عشرة صباحا .. ويتناول الغداء فى الثالثة أو الرابعة .. والمطاعم تقدم العشاء فى منتصف الليل أو بعد ذلك ..!

وشارع جران فيا ومنطقة وسط المدينة ، لا تعرف النوم طول الليل .. الأضواء تتناثر فى واجهات المحلات ودور السينما والمسارح

والكباريهات والمقاهى .. والزحام يشتدحتى الرابعة صباحا ، مثل الزحام الذى تشاهده فى القاهرة فى شارع سليمان عند خروج دور السينما .

وقد حاولت الحكومة أن تغير من طابع الحياة فى مدريد .. ان تجبر الناس على النوم مبكرا باغلاق المحلات ، حتى تنتظم الأعمال فى الصباح .. وان تجعل من مدريد مدينة عادية مثل بقية مدن اسبانيا . وحددت لذلك أول يوليو من هذا العام .

وتصادف ان كنت هناك فى هذا التاريخ .. وحرصت على مشاهدة نقطة التحول التاريخية فى مدينة الليل والانطلاق .

وقبل أن تغرب الشمس ، سمعت همسات بأن هذا القرار لايمكن تنفيذه .. وان الحكومة قد تراجعت وحددت ساعات السهر لدور السينما فجعلت حفلة السواريه تخرج فى الواحدة صباحا ، بدل الثانية والنصف وانها تركت المقاهى والكباريهات والبارات مفتوحة الأبواب بلاقيود.!

وتحقق ذلك فعلا .. ومضت ليلة أول يوليو .. مثل كل الليالى .. النـــاس تزدحم بهم المطاعم والملاهى والشـــوارع .. حتى تنطلق عربات البلدية ترش الشوارع .

وسوف يدهش الانسان كثيرا عندما يجد الشـــوارع تكاد تكون خاليـــة تماما حتى التاسعة صباحا .. ثم تبدأ الحركة فى هذه الســـاعة المتأخرة .

ان مدريد تفصل حياتها على مقاس الفنانين ..!

رقص الفلامنكو

وأروع ما تلتقى به فى اسبانيا ، رقصات الفلامنكو .. التى تنبع من الأندلس .. وينشرها فى أنحاء العالم هؤلاء الراقصون والراقصات الذين تشاهدهم فى كل مكان .

ومعظم مسارح اسبانيا تعتمد على الفـلامنكو كعنصر رئيسى من مادتها الفنية .. ولعل أشهرها هو ملهى (الزابدا) الذى يسجل تاريخ الراقص أو الراقصة ، بأنه كان يعمل يوما فى (الزابدا) .

وهو مكان صغير به عدد محدود من الموائد ، وخشبة مسرحه صغيرة جدا تجلس الفرقة فوقها على كراسى تتناثر على الأضلاع الثلاثة لخشبة المسرح .. وهى تضم عازفين على الجيتار ومطربين وراقصين وراقصات.

أهم ما تلحظه هو الجدية فى أداء الرقصات ، والجو الحالم الذى يعيش فيه الراقص أو الراقصة ، على نغمات الجيتار وأغنيات الفلامنكو وتصفيق الأيدى الذى يتلون فى دقة ومهارة .. لا تجعل الانسان يشعر بالملل رغم امتداد البرنامج ساعات دون تغيير فى المنـاظر أو الاضاءة أو نوع الرقص .

والغريب أنه لا توجد فى اسبانيا فرقة للفنون الشعبية .. أى فرقة تعمل على تطوير رقصات الفلامنكو ، واشراك مجموعات كبيرة فيها .. وربما يعود ذلك الى حيوية الرقصات الفردية .. والى أن كل اسبانى يستطيع أن يؤدى هذه الرقصة ، حتى فى منزله ..

سلطة الـكنيسة

ورغم أن شعب اسبانيا مرح وفنان بطبيعته .. الا أن الكنيسة تسيطر عليه سيطرة تامة كاملة .

والكنيسة فى أسبانيا ، تصل قمة قوتها بعد الفاتيكان مباشرة..انهم يخرجون فى كل عام ٣٠٫٠٠٠ راهب ينتشرون فى أنحاء العالم ، وخاصة فى أمريكا اللاتينية .

والاسبانى يخشى ألا يذهب الى الكنيسة يوم الأحد .. ولا يتردد لحظة فى التبرع لها بما تطلبه .. حتى لا تلصق به تهمة معاداة الكنيسة .

حدث أثناء اقامتى هناك ، ان طرق باب الشقة قسيس وتحدث معى بالاسبانية ، فعجزت عن التفاهم معه . وهنا قدم لى ورقة كتبت بالانجليزية وذلك لأننا كنا نقيم فى عمارة معظم سكانها من الأمريكان ، والورقة تتضمن رجاء بالتبرع للكنيسة من أجل مشروعات الخير !

وشاهدت أيضا ، قسيسا فى ملابس زاهية ، يخرج من احدى الدور فى طريقه الى عربة من عربات الكنيسة .. وعندما لمحه الناس ركعوا له فى الشارع ..!

وسألت فعلمت أن صاحب المنزل كان قد نذر شيئا للكنيسة .. وان حضور القسيس اليه ، يعتبر تشريفا كبيرا ، وأنه طالما أن القسيس فى ملابسه الرسمية ، وفى هذه المهمة .. فان الناس يجب أن تركع له .

والكنيسة تستطيع أن تحرم من دخولها من تشاء وقتما تشاء .. ولذا فهى تسيطر على الجميع .

ومن آثار ذلك .. انك لن تجد اسبانيا واحدا يدين بالاسلام ، رغم بقاء الاسلام هناك ثمانية قرون .. فقد هاجر الى المغرب من آمن به ايمانا كاملا .. أو تخلى عنه من أثر الحياة فى موطنه .. وهكذا لم يعد فى اسبانيا حتى الآن مسلم واحد .

ولا يعنى هذا اطلاقا ان الكنيسة ما زالت تهاجم المسلمين .. فان آثارهم انقضت من قرون بعيدة .. ولكنها تهاجم فى قسوة وعمق كل الأفكار المتحررة ، وكل من يحاول أن يخرج عن سيطرتها وسلطتها الكاملة .

والكنيسة هى أغنى الهيئات فى اسبانيا .. عندها أموال طائلة ولها اقطاعيات بلا حدود ..

الاقطـاع

والاقطاع فى اسبانيا ما زال فى أوج قوته .. هناك من يملك جبالا كاملة .. تنتشر فوقها الغابات وأشجار الفاكهة .. ولا يجـرؤ أحد على الاقتراب منها .

اقطاع كامل ما زال يحمل صورة القرون الماضـية .. والاقطاعيون النبلاء ، يترفعون عن الشعب ترفعا كاملا .. لا يدخل قصورهم ، الا من يحمل القاب النبالة والشرف .. ولا يجرؤ على مصاهرتهم الا أبناء الأسر المشابهة .

حدثنى صديق فى مدريد ، انه تعرف الى أحد هؤلاء الاقطاعيين .. ودعاه الى ضيعته التى تضم ٤٠ ألف فـدان .. وعلم منه أنه لا يسمح بدخول أحد من الاسبانيين الى قصره .. الا من سجلت أسماؤهم فى قوائم تحفظ طرفه فى مكتبه !!

النظام الملـكى

والنظام فى اسـبانيا يحفل بالمتناقضات .. الدسـتور ينص على أن اسبانيا تدين بالنظام الملكى .. ولكنها تعيش بلا ملك منذ عام ١٩٣٧ ، أى منذ تولى فرانكو رئاسة الدولة !

ومع هذا فان فرانكو يعلن بين حين وآخر ، ان النظام الملكى فى طريق العودة .

والدستور ينص على أن يتولى الحكم .. اما ملك قوى له سلطات رئيس الدولة .. واما مجلس للوصاية على ملك صغير ويكون للمجلس سلطات رئيس الدولة أيضا .. واما رئيس للدولة مثل فرانكو بلا ملك أو مجلس للوصاية ..!

أى حل من هذه الحلول الثلاثة ، يبيحها الدستور أساسا للحكم .

وفى البرتغال يعيش المطالب بعرش اسبانيا الدون جوان .. ولـكن فرانكو يرفض عودته .. بينما هو يحتضن ابنه الذى يعيش فى اسبانيا، ويعلمه فى الاسكوريال ، مقر الكنيسة القوى .

ويتحدث الناس فى أسبانيا عن سياسة فرانكو الذى يرأس حزب الفالانج ، والذى يضم فى داخله أنصارا للملكية ، وأنصارا لرئيس الدولة ..

وفرانكو يقف موقف الموازن بين الاثنين .. يظل مع الجناح الضعيف حتى يقوى .. ثم يعود من جديد الى تقوية الضعيف حتى تتوازن القوى .. وهكذا ذبذبة دائمة ..!

حياة العزلة

واسبانيا تعيش فى عزلة فكرية عن العالم الخارجى .. كل الأنباء الخارجية تصدر عن (وكالة الأنباء الاسبانية) التى تتولى توزيعها على الصحف وهى ليست عضوا فى الأمم المتحدة ولا ترتبط بعلاقات سياسية مع أية دولة شيوعية أو اشتراكية . ولا مع كثير من دول أفريقيا المتحررة .

وتوزيع الجرائد فى اسبانيا لا يتناسب اطلاقا مع نسبة المتعلمين .. فان أعظم الجرائد انتشارا لا يتجاوز توزيعها ١٥٠ ألفا .

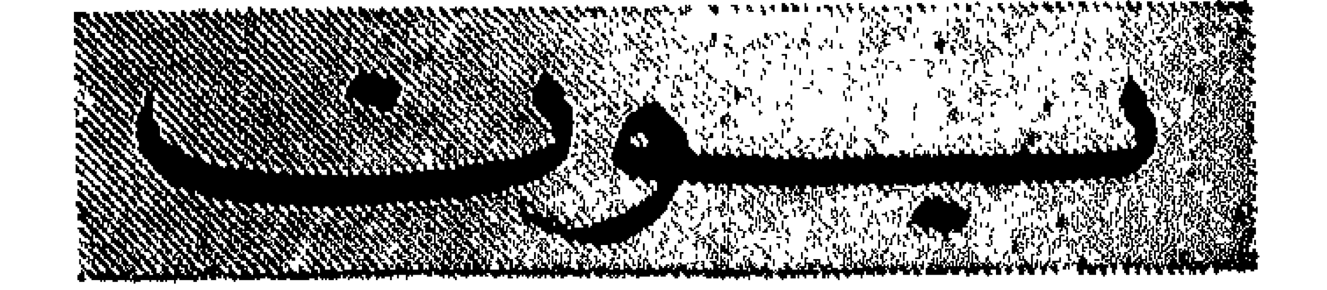
جريدة واحدة هى التى يصل توزيعها الى مليون وتصدر فى برشلونة تحت اسم (فان جعا رديا) وذلك لأنها تجد سوقا هائلة للتوزيع فى أمريكا اللاتينية .

وكل الجرائد تتوقف عن الصدور يوم الاثنين .. حتى ينعم المحررون بعطلة الأحد .. وتصدر جريدة حكومية صغيرة اسمها (ارخادى لوتس) أو (ورقة يوم الاثنين) !.

وكثير من الأسماء اللامعة فى عالم الفن والأدب تعيش خارج اسبانيا .. مثل سلفادور دى مادرياجا الأديب الكبير ويقيم فى لندن..وميجيل سانتباتا أستاذ القانون الدولى المالى ويستقر فى فرنسا .. وخوان رامون خيمينيت الحائز على جائزة نوبل والذى توفى عام ١٩٥٧ ، والذى نعرفه فى مصر عندما أثيرت ضجة حول كتابه (حمارى وأنا) .. كان أيضا يقيم فى بورتريكو .. والمؤرخ سانشجيت اليورونوث الذى كان وزيرا للمعارف رحل الى بيونس ايريس .. وبيكاسو أستاذ الرسم المعاصر يعيش فى الريفيرا .. ومؤلفات لوركا الذى قتل فى أغسطس عام ١٩٣٦ مازالت تصادر هناك حتى الآن .. ولم يفرج عنها الا فى هذا العام حيث يمكن شراء مؤلفاته كاملة فقط .. وسعرها المرتفع يمنع وصولها الى عامة الشعب .

ونظام الحكم فى اسبانيا مرتبط بفرانكو وموقفه السياسى ، وقد خطب فرانكو فى العام الماضى ، عندما أشيع فى برشلونة أنه سوف يتنازل عن الحكم للملك ، قائلا انه قد أنهى ٢٠ عاما فى الحكم .. وانه يدعو الله أن يمنحه العمر والصحة ليحكم عشرين عاما أخرى ..!





أغرب من الخيال ..!

عند ما سمعت هذه القصة فى لمانيا .. لم تدهشنى حوادثها التى فاقت حدود الخيال ولـكن أزعجنى وأرقنى انى لم أعرف السبب الذى من أجـله اندفع بطل القصة فى هذا السبيل .

أنا لم أعرفه ولم أره .. ويسعدنى أن أراه وأسمعه هنا فى القاهرة ، وقد عاد اليها .. فان قصته ما زالت تشغل فكرى رغم انى سمعتها منذ أسابيع .. وهى فى رأيى تستحق المناقشة والبحث والدراسة ..

كيف بدأت القصة .. ؟

بدأت فى أحد ملاعب الجامعة أثناء مباراة للهوكى .. انطلقت الـكرة الصماء كالقذيفة وأصابت أحد الطلبة فى بطنه فمزقت غشاء البطن وبعض العضلات .

وحمل الطلبـة زميلهم والدماء تنزف منـه الى مستشفى الجامعة .. وهناك أجريت له عملية جراحية قال عنها الطبيب انها سوف تعيد كل شيء الى أصله.. وأن الطالب سوف يرجع من جديد الى لعب الهوكى.

ولـكن .. العملية لم تنجح !

وتكررت العملية للطالب ٢٤ مرة بلا مبالغـة ..

٢٤ مرة يدخل الطالب غرفة العمليات ويخدر الـــكلى ، ويفتح بطنه مشرط الأطباء .. ويعود الى سريره وحوله من الجميع أمنيات بالشفاء.

وتحولت قصة الطالب الى مأساة .. الطب فى القاهرة عاجز عن النجاح فى هذه العملية البسيطة .

ووصلت القصة الى ادارة الجامعة .. واتخذت قرارا انسانيا .. يجب أن يسافر الطالب الى لندن .. الى أشهر الجراحين هناك . فقد أصيب أثناء مباراة رياضية كان يمثل فيها كليته .

وحملت الطائرة الطالب المريض الى لندن .. وما زالت فى بطنه آثار التهتك واضحة .. وبين دهشة الجميع فى مستشفى لندن أجريت عليـــه أبحاث عديدة ..

والآن سأعبر بك فترة اقامة الطالب فى لندن .. فأنا لا أعلم عنها شيئا بالتفصيل .. ولكنى سأروى لك ما حدث فى ألمانيا كما سمعته من راوى القصة الأستاذ محمد فتحى مستشارنا الثقافى فى بون .

وصلت الى محمد فتحى اشارة من أحد مستشفيات كولن تفيد أن طالبا مصريا تنزف منه الدماء قد وصل اليها فورا من المطار .. وأسرع محمد فتحى الى هناك .. وعرف القصة .

الطالب أمضى فى لندن ثلاثة شهور أجريت له فيها ثلاث عمليات ، لم تنجح جميعها .. وتقرر اعادته الى القاهرة ليكون بين أهله وعشيرته .

وفى الجو وبعـــد أن غادرت الطائرة مطار لنـــدن .. أصيب الطالب بنزيف حاد .. واستدعى المضيفة التى اتصلت بقائد الطائرة وشرحت له حالة الطالب المسكين .

واتخذ قائد الطائرة قرارا جريئا .. هبوط الطائرة فى مطار كولن ، وهو أول مطار فى طريقهـــا .. بدلا من الاستمرار فى الطـــيران الى فرانكفورت ..

وبعد اتصالات سريعة مع القاهرة .. دخل الطالب مستشفى كولن .. وأكد كبير الأطباء لمحمد فتحى أنه يضمن نجاح العملية بنسبة ١٠٠٪ .

وأثناء العملية كان العرب جميعا فى المدينة الألمانية يحيطون بسرير الطالب الرقيق المريض وخرج الدكتور مستبشرا .. نجحت العملية .

ولكنه بعد أيام فوجىء بأن نكسة شديدة أصابت الطالب .. درجة حرارته ارتفعت حتى بلغت ٤١ .. العملية تهتكت من جـديد .. أصيب الطالب نفقر دم شديد .

وبدأ الطبيب يعالجه من الحمى وفقر الدم .. وينتظـر عودة صحته لاجراء عملية جديدة .

وبعد أيام أجرى الطبيب عملية ثانية .. ولكنها أيضا لم تنجح .. كان الطبيب يشد شـعر رأسه الأبيض وهو لا يكاد يصـدق أن مثل هذه العملية البسيطة لا تنجح ..!

وفجأة اتصل الطبيب بمحمد فتحى وطلب منه تحـويل الطالب الى مستشفى آخر ..

وتساءل محمد فتحى عن السبب ..

انه يحدث ثورة فى المستشفى ... ويتهجم بالسباب على الممرضات .. وتتحول رقته ووداعته التى تظهر على ملامحه الى وحشية كاسرة .. اذا طلبوا منه البقاء فوق السرير ، أو تناول الفيتامينات والأدوية المقوية التى تعالج فقر الدم .

وسأل محمد فتحى الطالب عن سبب ذلك .. فأجاب بأنهم يجبرونه على عدم الذهاب الى دورة المياه .. وقضاء حاجته على السرير .. وانه يخجل من كشف عورته أمام النساء .

ولم يجد محمد فتحى فى ذلك عذرا ولا تبريرا . وأرسل الى القاهرة .. وجاء الرد كالصاعقة .

تقرير كامل من الطبيب البريطانى المعالج فى لندن أرسله فى اثر الطالب الى القاهرة .. يوضح فيه ان فشل هذه العملية البسيطة أثار الشكوك فى نفسه .. وانه بعد فشلها للمرة الثانيــة .. وضع الطالب تحت المراقبــة السرية بعد العملية الثالثة .

ماذا لاحظ الطبيب البريطانى ؟

الطالب يمزق احشاءه بأظافره ... ينزل من على السرير ويمشى فى الغرفة وهو ممنوع من الحركة .. يلقى حبوب الدواء ولا يشربهــا .. يقاوم الشفاء ويعمل كل ما فى طاقته ليبقى مريضا فى المستشفى .

والقاهرة تطلب اعادة الطالب فورا .. وأحاط الطبيب الألمانى الطالب بضمادات قوية ، وسلمه محمد فتحى الى طائرة شركة مصر للطيران فى فرانكفورت ، وأوضح لهم قصته ، وطلب منهم ألا ينزلوه فى أية محطة قبل القاهرة .

والطالب لا شك انه يعيش اليوم بيننا .

وما زالت قصته تحيرنى .. ما الذى يدفعــه الى مقاومة الشــفاء ، وتمزيق جلد بطنه .. ليجرى العملية ثلاثين مرة .

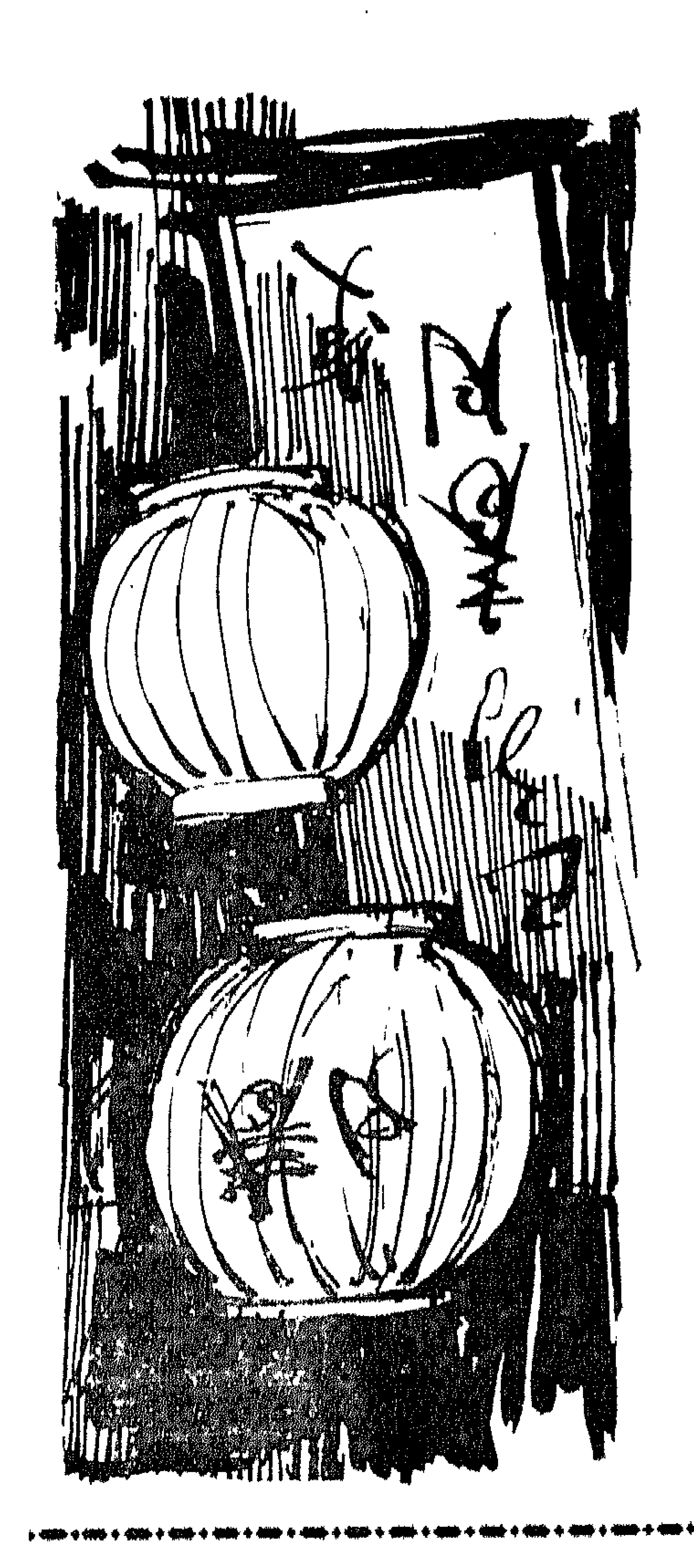
لا شك انها أسباب قوية تعيش فى نفس الطالب منذ الصغر .. هى التى تدفعه الى هذا السلوك الشاذ المريض .

أنا ما زلت فى حيرة .. ولعلى تركت القراء أيضا فى حيرة .. وما زال السؤال قائما .

ما هى أسباب هذه القصة التى تفوق الخيال ؟

هل يعرف أحدكم لذلك تحليلا ؟

وأين الطالب المريض ؟



جولة في الشرق البعيد

* المدينة التى يتحكم فيها المـال والفساد وطلقات الرصاص . .

* هونج كونج ليست مدينة ولكنها ٢٤٦ جزيرة ..

* الخلافات بين هونج كونج وفرموزا .. أكثر منها بينها وبين الصين الشعبية ..

الموانى الحرة فى العالم تختلف عن غيرها من المدن . . البضائع من كل الدول تتدفق الى الميناء ، وتنزل مبـاشرة الى المحلات والأسواق . . لا ضرائب ولا جمارك .. الأسعار رخيصة وغير محددة .. والغموض يسـود عـلاقات البشر . . يعيش فيهـا المهربون والخارجون على القانون .. والكلمة العليا فيها طعنة سكين أو طلقة رصاص فى الظلام ..

شاهدت طنجة فى المغرب وهى ميناء حر .. كانت تضم سكانا يتحدثون بكل اللغات .. وشاهدتها بعد أن أصبحت ميناء مغربيا .. وهجرها التجار من مختلف الأجناس .. انهم لا يطيقون العمل فى قيود القوانين .

وهكذا أقبلت على مستعمرة بريطانيا فى الشرق البعيد .. جزيرة هونج كونج وأنا أحمـل ذكريات طنجة قبل أن تعود الى الوطن العربى .

وهكذا أقبلت على مستعمرة بريطانيا فى الشرق البعيد .. جزيرة هونج كونج وأنا أحمل ذكريات طنجة قبل أن تعود الى الوطن العربى .

ولكن هونج كونج تختلف تماما عن كل ما رأيت من مدن فى أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا .. انها مدينة ذات طابع خاص .

ولكن هونج كونج ليست مدينة فقط .. وليست جزيرة واحدة .. انها مستعمرة بريطانية تضم قطعة من أرض الصين الشعبية ولا تفصلها حدود جغرافية .. وتضم أيضا ٢٣٦ جزيرة .

وعلى الجزيرة يرتفع علم بريطانيا .. وما زال اسمها (مستعمرة هونج كونج) .. وفى مينائها أسطول بريطانيا .. وحلف جنوب شرقى آسيا (السياتو) .. وهناك حاملات للطائرات ، بعضها يحمل أكثر من خمسين مقاتلة .. وهناك بوارج ومدمرات وغواصات .. وهونج كونج تشكل مع سان فرانسيسكو وريو دى جانيرو أعظم موانى طبيعية فى العالم .

والميناء يبدو لك أنه على استعداد دائم للقتال .. ولكن رغم هذا فالعلاقة بين بريطانيا والصين الشعبية يمكن أن يقال عنها - هادئة - والعلاقات بينهما تمضى فى مجراها الطبيعى .

قطار يومى يصل من الصين الشعبية يحمل الغذاء لسكان المستعمرة ، التى تعتمد على ذلك اعتمادا كليا .. وللصين الشعبية مركز تجارى كبير فى شارع ناثان من أهم شوارع المستعمرة .. وعند حرب كوريا ١٩٥١ أوقفت التجارة مع الصين الشعبية فزادت البطالة ..

ولم تحدث منازعات مسلحة بين البلدين .. ولم يتحرك الأسطول يوما فى غزوة عسكرية .. ولم تطر مقاتلة فوق الصين الشعبية للاستكشاف والتصوير .

العلاقة بين بريطانيا والصين الشعبية من جهة .. وفرموزا أو تايوان - كما يطلقون عليها - من جهة أخرى .. تدخل فى خلافات حادة مع

بريطانيا .. ويبلغ الجدل بينهما حد تبـادل الاتهامات فان الصينيين فى هونج كونج من التجار واللصوص والمهربين والمجرمين .. ينتسبون الى فرموزا .. ولا يستطيعون الدخول الى الصين الشعبية ، لأنهم تعـودوا حياة تختلف تماما عما تعوده الناس فى بكين وشانغهاى وكانتون وغيرها من المدن .

بين القمة والسفح

ومستعمرة هونج كونج لها عاصمة اسمها (فيكتوريا) فى جـزيرة هونج كونج ذاتها التى تبلغ مساحتها ٢٩ ميلا مربعا .. ويرتفع فيها جبل أخضر ، يشرف على منظر من أروع المناظر .. حيث تنتشر الجزر حوله، وتتناثر الأضواء فى الليل على المياه فتبدو كأنها اللآلىء تحيط بقدميه .

والمدينة تضم مبانى حديثة وعمارات شاهقة .. وكلما ارتقينا الجبل رأينا القصور والفيلات ، تحيط بها الحدائق وتظللها الأشجار ، وتزينها الزهور .. ولكن اذا هبطنا الى سفح الجبل وجدنا شيئا مغايرا تماما .

والحياة نشيطة والأسواق مزدحمة .. والناس كثيرون كالذباب .. وبعض الأحياء لا تستطيع دخولها .. رائحتها قذرة .. الرطوبة فيها تجثم على الصدور .. والشوارع ضيقة والدور مهدمة والانسان معذب وبائس وفقير ..

والتناقض الصارخ تشهده فى شوارع هونج كونج .. البنوك التى تضم ملايين الملايين من جميع عملات الأرض ، يجلس على الأرصفة أمامها نماذج حية من الأجسام المعروفة ، التى تقطر عيونها أسى ، وكلماتها مرارة .. والتى لا تقوى أحياناً على السير .

المستعمرة التى احتلتها بريطانيا عام ١٨٤٢ ، وكانت تضم قبل الحرب حوالى المليون .. أصبحت اليوم تضم ثلاثة ملايين .. زاد عدد المهاجرين

اليها بعد غزو اليابان للصين .. ثم هاجر اليها البعض بعد انتصار الثورة الشعبية هناك .

وتتجت عن ذلك مشكلة رهيبة .. مهاجرون بلا مأوى ولا عمل ولا أمل .. وكل الأذرع مفتوحة للضياع .. والجريمة بذورها تثمر على عجل ..

والانعكاس الأول فى المدينة هو الشعور بالأسى على هؤلاء الضائعين المشردين .. الذين يتجمعون على القاذورات كالذباب .

ولكن هذا ليس كل شىء فى هونج كونج .

انك اذا أقبلت عليها بعد سفر طويل ، ودخلت غرفتك فى الفندق فى شهور الشتاء ومطلع الربيع ، وحاولت أن تأخذ حماما يزيل عن جسمك متاعب السفر .. فسوف تصدم كثيرا عندما تفتح الصنبور ولا يتدفق المـــاء .

وسوف يعتذر لك صاحب الفندق .. لأن المياه فى هذه الشهور توزع على أحياء المدينة بالساعات .. لأن جزر هونج كونج جميعا لا توجد بها كميات كافية من المياه .. وليس بها الا نهر صغير .. يعرف بالفيضان خلال شهرى أغسطس وسبتمبر .

ولم توفق الحكومة حتى اليوم فى اعداد خزانات لتخزين الماء حتى يكفى الجميع .

وتضاعف هذه المشكلة من متاعب الفقراء .. وتنشر فيهم الأمراض .

عندما وصلت هونج كونج .. كانت الكوليرا منتشرة فيها .. وكان الخطر فظيعا .. لولا اسراع الحكومة فى تحصين كل السكان .. والى جوار الكوليرا تنتشر أمراض أخرى ، أهمها السل ، والبلاجرا ، والأمراض الخبيثة التى تجد لها فى الفقر مرتعا خصيبا .

وأمثلة البؤس فى هونج كونج ، لا يحصيها العد .. تبدأ من هـذا المنظـر المؤلم الذى اختفى من الصين التى تضم ٦٠٠ مليـون ، منظر الريجشا .. وهى العربة التى يجرها الانسان بدلا من الحصان .

سائقو الريجشا صورة مؤلمة من صور البؤس .. وهم يمارسون الى جانب مهنتهم غير الانسانية مهنا أخرى أكثر انحدارا ووضـاعة .. ولن يعيب أحـد عليهم شيئا .. فليس هنـاك حاجز يمنعهم عن التردى الى الهاوية ..

ومنظر آخر يلتقطه الزائر ، اذا بعد خطوات عن الشوارع الحديثة .. انه يلتقى بشوارع ضيقة لاتكاد تتسع لمرور عربة واحدة ، وعلى جانبيها سلسلة من البيوت القديمة التى بنيت من الخشب ، وترجع الى القرن التاسع عشر .. والتى لا يمر يوم دون أن يتصـدع بعضهـا ، ويتهدم ، أو تشتعل فيها الحرائق ومعها كل يوم ضحايا من البشر .

وقد بدأت الحكومة فى وضع خطة لبناء عمارات شعبية . تنقل اليها هؤلاء الناس .. ولكنها حتى الآن لم تنجح الا فى بناء عمارات من ثمانية طوابق بلا اسانسير .. وتتسع الغرفة لعدد لا يقل عن خمسة أفراد .

كما أنه يشترك كل ١٢ غرفة فى دورة مياه واحدة .. وكما أوضحت لا تصلهم المياه بانتظام .. توزع عليهم فى مواعيد خاصة .

وأمام العمارات مجرى من الأسمنت تجرى فيه المياه ، وذلك لغسيل الملابس .. وهو مجرى تعف العين عن النظر اليـه .. لون المياه فيه مثل لون التراب ..

ومع هذا فان الأسرة تدفع فى الغـرفة الواحدة كل أسـبوع ١٤ دولارا من دولارات هونج كونج .. والدولار الأمريكى يساوى حوالى خمسة دولارات ونصف دولار من دولارات هونج كونج .

ولا تقتصر مظاهر البؤس على هؤلاء .. ولكنها تنتقل الى صورة أكثر بشاعة ونكرانا ..

ألوف من السكان يمضون حياتهم فى قوارب تسمى (السانيان) .. وهى مثل القوارب الصغيرة التى نستأجرها فى روض الفرج وقصر النيل ، لعمل نزهات فردية فى النيل .

الأسرة كلها تعيش حياتها ليل نهار فى قارب واحد .

ذهبت فى زيارة الى هذه المنطقة العجيبة فى الليل .. مع عدد من الصحفيين من مختلف أنحاء العالم .. ودبت الحياة فى المنطقة الراكدة الساكنة كالموت .. وتعالت الأصوات من الأطفال والكبار ، تطلب منا النزول الى قواربهم والخروج فى عرض البحر نظير عدد من الدولارات ..

ونزلنا .. الزوج غائب .. والزوجة وحدها تحرك القارب .. ومعها بنتان احداهما فى الرابعة وطفلة رضيع .. ولها ثلاثة أولاد يلعبون فى الشارع ..

قارب آخر فيه فتاة ناهد فى السابعة عشرة ، وشاب وخمسة أخوة .. والأب والأم ..

ودارت فى ذهنى أسئلة محرجة .. كيف يتصل الزوج بزوجته ؟

كيف يقضى الانسان حاجته الطبيعية ؟

من أى شيء يرتزقون ؟

وكانت الاجابة محيرة .. ولكن كل شيء فى هذه المنطقة وفى المناطق الأخرى .. يدفع الانسان دفعا الى التخلى عن الكرامة البشرية والأخلاق الانسانية والانحدار الى مستوى بلا قيم .

واذا عدنا من جديد الى الأحياء الحديثة وجدت أشياء أخرى تثير العجب والدهشة .

أنت لا تستطيع أن تمضى فى الشارع خطوات دون أن تناديك امرأة من نساء الليل .. وربما تجذبك من يدك أو ذراعك ..

وسائق الريجشا والتاكسى ، وخادم الفندق والمطعم والبار وكثير من الباعة .. يقدمون لك خدماتهم الحقيرة فى كلمات معسولة وابتسامة صينية مهذبة .

وهكذا تنتشر البثور على صفحة وجه هونج كونج . وأصبحت الدعارة أسلوبا من أساليب الحياة ، التى ينزلق اليها معظم النساء ، بلا تحديد .

وثياب النساء التى تكشف فتحتها الجانبية عن أسفل الفخذ ، ترتفع فيها أحيانا قرب الخصر .. والمرأة تسير فى الشارع تغرى بجسمها وكلماتها واشارتها أى شخص من العابرين .

والدعارة ليست فى أجسام الناس فقط .. ولكن هناك دعارة خلقية تتمثل فى سلوك الناس ومعاملاتهم .

أنت فى هونج كونج تستطيع أن تشترى كل شىء بالمال .. الشرف ذابل هناك كالشجر فى الشتاء .

والتاجر يحاول أن يسرق أموالك . يرفع لك السعر أضعافا مضاعفة .. ولن تصل معه الى السعر المحدد الا بعد المرور على أكثر من محل ، وبعد مساومة قد تطول الى ساعات .

الشراء هناك عملية تعذيب ، لا يصلح لها الا النساء اللاتى من طبعهن المساومة ..

فى أول يوم لى هناك اشتريت ولاعة بمبلغ ٦ دولارات ، وبعد أن أقسم البائع لى أن ثمنها ٨ دولارات ، وعلى بعد خطوات منه ، وجدت

نفس الولاعة عند بائع آخر ، وسألته عن ثمنها فقال ٦ دولارات .. وأردت الفصال معه حتى أتبين السعر الحقيقى لها . وقبل أن يبيعها بمبلغ ٣ دولارات ونصف دولار .

ورجعت للبائع الأول ، وقلت له ان زميلك على استعداد لبيع الولاعة لى بمبلغ ٣ر٥ دولار . فخذ دولارا آخر وأعطنى ولاعةليكون مجموع ثمنهما ٧ دولارات .

وقال البائع : ولكنى بعتها لك بستة دولارات ، واذا أردتواحدة ثانية ، فادفع ستة دولارات أخرى .

وكان هذا الحديث يعنى أنه لا فائدة .. وضحكت من غفلتى .. ولما رآنى الرجل وأنا أضحك .. قال لى هو الآخر مبتسما :

ــ انك يا سيدى لا تعرف هونج كونج . ومن هذه اللحظة بدأت أتعرف عليها .

الاستعمار هو السبب

بدأت أتعرف على هؤلاء الذين تطحنهم الاستعمار ويفقدهم كل شيء .

رأيت الأثرياء الذين يملكون ملايين الملايين ، الصينيين الذين يحملون لقب (سير) ويركبون عربات الرولز رويس ويدخنون البايب .. ويعيشون فى قمة الجبل فى قصور تتواضع بجانبها أحلام ألف ليلة وليلة .

ورأيت الجبل قائما من حولهم يحميهم من زحف هؤلاء الذين يتكدسون فى القارب ، والشوارع الضيقة ، والمنازل الخشبية المهدمة. يتجمعون كالذباب لا يملكون شيئا حتى الماء .. واذا طلبوا العمل كان بعيدا عن الكرامة والشرف ..

واذا أخذتهم يقظة الضمير .. وبدءوا يتحركون فتحت لهم أبواب السجون .

وسمعت عن بعض العائدين الى الصين الشعبية ، حيث سمعوا عن حياة ينتصر فيها العمل على التعطل والفساد .

ورأيت بعض الهاربين من الحياة الى ضباب الأفيون والهيروين .

رأيت مدمنى المخدرات ، الذين ينتشرون فى المستعمرة بنسبة لاتصل اليها دولة فى العالم ..

وتحدثت مع مدير سجن المخدرات .. ودخلت عنابرهم وذقت طعامهم ..

ولكن .. الحديث عن الأفيون يطول فالى وقت آخر حيث نمضى الى المدمنين فى أوكارهم .. لتعرف دائما أن الاستعمار هو السبب .

هونج كونج

* بريطانيا أعلنت الحرب مرتين على الصين من أجل تجـارة .. الأفيون ..

* مخدرات الشرق الأوسط يرد معظمها من هونج كونج .

منذ قرن وعشرين عاما ، وبالتحديد عام ١٨٣٩ ، لم يكن الخجل يمنع حكومة بريطانيا من أن تعلن الحرب على الصين ، لتسمح لهـا بتجارة الأفيون .

نعم .. أعلنت بريطانيا الحرب على الصين من أجل السماح للشركة البريطانية التى تسمى (شركة الهند الشرقية) بتجارة الأفيون لتخدير شعب الصين .. ولم ترتفع صيحات كاذبة فى لندن تقول (يا للعار .. يا للعار) .

وهكذا كان الاستعمار ينـدفع للسرقة والنهب .. بلا خجـل ولا حذر .

والقصة تبدأ عندما اتخذت حكومة أسرة مانشو فى الصين سياسة العزلة .. وقررت أن تقتصر التجارة مع الأجانب فى ميناء « كانتون » .. وذلك لأسلوب التجار الأوروبيين فى التسلل وشراء الأفراد ، وخلق قاعدة صالحة للاستعمار .

وقد كتب لى « شى ياو » نائب الملك عام ١٧٥٩ تقريرا عن « لوائح المراقبة على الأجانب » .. جاء فيه . ومن رأيى المتواضع جدا أنه عندما يجىء البرابرة غير المتحضرين الذين يعيشون فى أماكن بعيـدة وراء

حدود الصين الى بلادنا للتجارة ، فينبغى ألا يقيمـوا أية صـلة الا للأغراض الخاصة بأعمالهم .. ولهذا فمن الأفضـل اتخـاذ اجراءات احتياطية لتقييد حركاتهم ، بدلا من معاقبتهم بعد أن يخالفوا القانون.

وكانت بريطانيا تحتفظ بمركزها القيادى فى التجارة مع الصين ، رغم اندفاع الولايات المتحدة بعد حصولها على الاستقلال عام ١٧٨٤، وفرنسا ، وهولندا ، والبرتغال ، وغيرها من الدول .. الى محاولة فتح الصين للتجارة ..

وعندما اتخذت أسرة مانشو قرارا جديدا عام ١٨٣٩ يحظر تجارة الأفيون نهائيا سـواء فى كانتـون أو غيرها .. ثارت ثائرة التجـار البريطانيين ، واستبد بهم الجنون ..

الهند تنتج لهم الأفيون ، وهم يحملونه الى شعب الصين ،ويربحون من وراء ذلك أرباحا خيالية .. يهددها الآن ذلك القانون الذى يحمى الشعب بمنع (تجارة الأفيون) ..

وأعلنت حكومة بريطانيا التى يسيطر عليها التجار (حرب الأفيون)

هونج كونج

واستمرت الحرب ثلاثة أعوام ، وصل فيها البريطـانيون ، قرب شنغهاى .. وخشيت أسرة مانشو على سلطانها .. فترددت بعد اندفاع .. وساومت بعد اصرار .. وعقدت مع البريطانيين صلحا فى عام ١٨٤٢

ووقعت أول معاهدة غير متكافئة بين الطرفين .. معاهدة نانكين التى ابتزت فيها بريطانيا من الصين تعويضـا قدره ٢١ مليـونا من الدولارات .. وأرغمت الصين على فتح خمسة من موانيها لجميع أنواع التجارة بما فيها الأفيون .. ومنحت بريطانيا حق « معـاملة الدولة الأفضل » .. وخفضت التعريفة الجمركية بين البلدين .. واغتصبت بريطانيا من الصين جزءا من أرضها هو منطقة « هونج كونج » .

ومع هذا فان بريطانيا وجدت بعد فترة أن الموانى الخمسة التى فتحت للتجارة ، كانت جميعا على الساحل الجنوبى الشرقى ، الامر الذى لا ينشط تجارة الأفيون فى المنطقة الساحلية الشمالية ، ولا فى المناطق الداخلية الفسيحة .. مما جعل الحكومة البريطانية تطلب تمثيلا سياسيا لها فى بكين .. وفتح قنصليات لها فى المدن الداخلية .

ورفضت حكومة مانشو أن تسمح للممثلين الديبلوماسيين الأجانب، بالذهاب الى بكين لأنها رأت فى ذلك اذ لا لا لكرامتها أمام الشعب..

استفزاز وعدوان

ولم تطق بريطانيا هذا الرفض الذى يكدس الأفيون فى الموانىء ، وأمامه سبل مهيأة فى الداخل والشمال .. فبدأت تجرى سلسلة من العدوان والاستفزاز .. دفعت شعب الصين الى مقاومة حكومةمانشو الحاكمة ، التى تراخت فى مقاومتها للمستعمرين ..

وبعد احدى المجازر البريطانية رفع الصينيون لافتات ، كتبعلى احداها كما جاء فى رواية أحد البريطانيين « ان حكامنا المتوحشين ظلوا حتى الآن صنائع اللصوص الانجليز فى جميع التصرفات التى قاموا بها ضد النظام والعدالة .. ففى الشهر القمرى الخامس من هذا العام ذبح الأجانب كثيرا من الصينيين ، وطوحت جثثهم فى النهر ، ودفنوا فى بطون الأسماك ، ولكن المسئولين الكبار عالجوا هذه الشئون كأنما لم يسمعوا بها ، ونظروا الى هؤلاء الشياطين الأجانب كأنما هم آلهة .. واحتقروا الصينيين كأنما أجسامهم من لحوم الكلاب ، ولم يقدروا لحياة الناس قيمة أكبر من الشعر الذى يقص من الرأس وهم يصرون على جهل بما يجرى ، والتغاضى عن معالجة هذه الشئون بالاهتمام اللازم .. ان آلاف الناس يمتلئون بالحزن والغضب .. وقد

سرى الأسى فى نخاع عظامهم .. وعزاؤهم الوحيد هو أن يعربوا عن آلامهم فى الاجتماعات العامة » ..

حرب الافيون الثانية

وبعد خمسة عشر عاما شنت بريطانيا متعاونة مع فرنسا « حرب الأفيون الثانية » بين أعوام ١٨٥٦ ــ ١٨٥٨ ، وانتهت باستيلاءبريطانيا على نقط ارتكاز جديدة على شواطىء الصين .. وأرغمت الحكومة الصينية على أن تقبل تجارة الأفيون فى بلادها نظير فرض ضريبة على استيراده ..

.. من اللحظة الاولى

ومنذ ذلك التاريخ .. أى منذ قرن تقريبا .. والمنطقة التى تحتلها بريطانيا ، هى أكبر مركز عالمى لتجارة الأفيون والمخدرات فى العالم ..

أبشع من تلتقى بهم فى هونج كونج .. هم ضحايا المخـدرات ، الذين تلمحهم على الأرصفة فى الشوارع ، وفى البيوت الفقيرة الرطبة المظلمة ، والذين ينتهى المطاف ببعضهم فى سجن المخدرات للعلاج ، والعودة الى الخارج من جديد .. ولكن ليجد نفسه مدفوعا الى الهوة، عائدا الى المخدرات ..

الذين أثبتت الاحصائيات أنهم من صرعى الأفيون المدمنين يبلغ عددهم ربع مليـون ٢٥٠٫٠٠٠ من عدد سـكان هونج كونج الذى لا يتجاوز ٣ ملايين .. واذا استثنينا الأطفال ، والذين يقل عمرهم عن ٢٠ عاما لأنهم لايملكون ثمن الادمان .. وجدنا أن هذه نسبة عاليـة ومرتفعة ، لا تصل اليها أية دولة أخرى فى العالم ..

أول مكان دخلته فى طريق البحث عن الأفيون .. كان سجن تاى لام أو فيكتوريا ..

فى سجن المخدرات

السجن لا يقع فى جزيرة هونج كونج ، ولكنه فى المنطقة السلبية من الصين الشعبية ، يبعد عن المدينة حوالى ٢٠ كيلو مترا .. ومن بعيد لايحمل لك طابع السجن .

على مدخله التقيت بقائد السجن .. ضابط بريطانى برتبة القائمقام .. يلبس القميص والبنطلون الشورت .. مبتسم حلو الحديث .. أول ما قاله انه كان أسيرا لدى اليابانيين .

فى هذا السجن ، الذى كان معسكرا من معسكرات اعتقالهم .. ومضت بالضابط البريطانى الأيام ، حتى أصبح قائدا لسجن المدمنين.

على باب السجن لافتة كتب عليها .. ممنوع التدخين مطلقا بعد هذا الباب ، .. ولا ترتفع حول السجن أسوار عالية ولا أسلاك شائكة .. كل المساجين فى حالة تخدير لايتحركون .. السور كما قال مدير السجن ضاحكا لمنع الدخول وليس لمنع الخروج !!

والى جوار مكتبه وتحت صورة الملكة اليزابيث ، بدأ قائدالسجن يروى فى رشاقة قصة المساجين من صرعى الأفيون والهيروين والمورفين والباربيتون .. وكأنه يحدثك عن مسرحية من تأليفه واخراجه ..ويلعب فيها دورا رئيسيا ..

قال : الهيروين يسيطر على ٨٥٪ من المدمنين ، وذلك لسهولة تعاطيه .. ولأنه لايحتاج الى جلسات طويلة مثل الأفيون .. وحكومة مستعمرة هونج كونج تقاومه بالحد من استيراد حمض النوشادر

الذى يستخدم فى اعداده .. والأفيون كان قديما عادة اجتماعية يدعو فيها الرجل أصدقاءه الى داره للتدخين وتمضية السهرة .

وسجن المخدرات يتلقى المدمنين الذين يحكم عليهم بالسجن لمدة أقل من سنتين .. ويبـدأ معهم علاجا ، يدفعهم الى التخلص من أثر المخدر فى دمائهم وعقولهم .. ويمنحهم فرصة التخلص من هذا الداء الرهيب .

مع المسـجونين

كنت أسمع حديث قائد السجن ، ورغبتى جارفة فى مشـاهدة المسجونين خلف القضبان .. أنهم جميعا من الرجال ، فان للنساءسجنا خاصا . ونسبتهن غالبا أقل من نسبة الرجال .. والادمان ينتشر غالبا فى أوساط العاهرات .

معظم المساجين يزيد عمرهم عن ٢٥ عاما .. لأن الذين تقل سنهم عن ذلك . لا تتوفر لهم القدرة الشرائية على شراء المخدرات والادمان عليهـا .

أول مشهد شاهدته فى السجن للمساجين ، وهم جالسونالقرفصاء فى طابور من أربعات وأبصارهم منحدرة الى الأرض .. وهم ينتظرون .. وجبة الغذاء .. وللوهلة الأولى تلحظ أن الأفيون والهيروين ، قد خربت عقولهم ودفعتهم الى عالم من التيه ، غامض بلا حدود .. الناس من حولهم غرباء ينظرون اليهم فى كسل ، لا تكاد جفونهم تنفرج عن عيونهم .

وكان هؤلاء من الذين أمضوا فى السجن ستة شهور تحت العلاج.

اذن .. ماذا يكون حال هؤلاء الذين يصلون فى مراحلهم الأولى .. وهم صرعى تماما لهذا التخدير .

مرض الادمان

ودخلت مستشفى المستجدين الذين حضروا الى السجن منذ أيام .. انهم يناموں على مراتب على الأرض .. والسجن لا يحرمهم المخدرات دفعة واحدة .. انه يقدمها لهم بنسب أقل ومن أنواع أخرى ، لأن المنع المفاجىء يحدث صدمات عصبية شديدة ، ويجعل العلاج أمرا عسيرا .

وهؤلاء الراقدون أقرب الى الموتى .. أنهم لايكادون يشعرون بشىء .. تجولنا بينهم ولم يكلف أحـد خاطره بالنظر الينا .. أنهم يعيدون اليهم الحياة ، تماما كما يعيدونها للموتى عندما تتوقف قلوبهم فى غرفة العمليات تحت البنج .

منـع الدخول

والمستشفى يضـم نوعا آخر من المرضى .. هؤلاء الذين أضعف المخدر أجسامهم وترك للأمراض الأخرى فرصة التسرب الى أجسامهم، وافتراس حيويتهم .. وأكثر هذه الأمراض انتشارا هو السـل .. انه يكاد يصيب معظم المدمنين .

ومرضى السل يعالجون من مرضهم فى عنابر نظيفة يشرف عليهم طبيب هندى له لحية سوداء نامية ، ويقلد الانجليز ، يلبس قميصا أبيض بنصف كم ، ويلبس معه البابيون .!

وقد روى لنا الطبيب أن بعض المدمنين الأوروبيين أو الأمريكيين يصرخون ويضربون الحائط عند شعورهم بأن المخدر سوف يمنـع عنهم .. أما المدمنون من الصينيين فانهم ينهارون ويتأوهون كالكلاب الجريحة .. وهو يعلل ذلك بافتقار الآخرين الى التغذية .

عمــل تدريجى

وبعد الفترة القاسية الأولى ، يتحول السجين الى الأعمال الخفيفة .. شاهدتهم يعملون فى ورش خشبية صغيرة .. وفى بعض الأعمــال اليدوية .. ويسمح لأصحاب الاتجاهات الفنية بالرسم أو النحت .

ولكنهم لا يستمرون دائما فى هذه الأعمال الخفيفة .. انهم يدفعون بهم الى أعمال عادية ، يمارسها الأصحاء من الرجال ، بعد فترة طويلة .. حتى يشعر السجين منهم بكيانه الاجتماعى .. وانه فرد من المجتمع يستطيع أن يباشر أعماله ، وينعم بحياته .

وفى المرحلة الأخيرة يتحــول المدمن الى ســجين عادى .. يعطى محاضرات تبعث الأمل فى نفسه ، وتجعله أكثر اقبالا على المجتمع ، وأكثر ايمانا بالانسانية .

وفى السجن ســجل خاص للمــدمنين من يوم دخولهم الى يوم خروجهم .. واستطعت أن أحصل على صورة واحد منهم كان وزنه عند دخول السجن يوم ٢٣ يناير من هذا العام ١١٠ أرطال وبعد تمضيةحكم السجن الصادر عليه وهو ثمانية أشهر خرج فى ٢٤ يونيو ووزنه ١٤٤ رطلا أى بزيادة ٣٤ رطلا .. ويلاحظ أنه لم يمض الشهور الثمــانية كاملة ، لأنه يفرج عن الذى يعبر مرحلة الادمان ، ويصل الى مستوى فكرى يبعث على الاطمئنان ..

المدمنون فى الخارج

غادرت الســجن ووجوه المدمنين تلاحقنى ، عيــونهم الذابلة ، ونظراتهم اليائسة .. أجسامهم المحروقة وأعصابهم المخدرة .. صمتهم المريب وحياتهم القاسية .

وخرجت أبحث عن أسرار المخدرات فى المدينة التى انطلقت منها قوات بريطانيا للحرب مع الصين مرتين باسم « حرب الأفيون » ..

وكان فى ذهنى دائما هذا الحديث القصير مع مدير السجن البريطانى ، عندما سألته .

ــ من أين تأتى اليكم المخدرات ..؟

ــ من الهند وتايلاند .. وأحيانا من فرموزا .

هل يأتى لكم شىء من الصين الشعبية ..؟

ــ وقال الضابط فى حيرة « لا أظن » ..

والحقيقة أنه أمر يصل الى مرتبة السحر . عندما تتخلص الصين الشعبية من آفة الادمان .. وهى الساحة التى كانت توجه اليها هذه التجارة .. وهى هدف تجار المخدرات .. لا أحد هناك يدخن الأفيون. ولا أحد يقع صريعا للمخدرات .. بينما هونج كونج التى لا يصل سكانها الى واحد من مائتين من سكان الصين ، لاتستطيع التخلص من هذه الآفة .

أسرار وراء الافيون

الأفيون والهيروين فى هونج كونج مثل كل تجارة ، له تنظيم واحتكارات .. يسيطر عليها أصحاب الملايين .. وعندما أغلقت فى وجوههم أبواب الصين الشعبية .. اتجهوا الى تدمير سكان هونج كونج .. وخاصة ، الذين يعيشون حياة بائسة تعسة بلا عمل ولا أمل .. يكسبون نقودهم من أقذر الأعمال ، لتتحول الى دخان وضباب يغشى العقول ..

وقد دلت الاحصائيات على أن من بين ١١٫٤٧١ مدمنا سجينا عام ١٩٥٨ كان هناك ٦٨٠٣ عاطلين .. وأنه من بين ٣٩٢ مدمنة كان هناك ١٣٣ عاهرة و ١٠١ أمرأة عاطلة ..

ولا يقتصر نشاط تجار المخدرات على هونج كونج .. أنها مركز توزيع عالمى .. ترد اليها المخدرات من أماكن زراعتها فى بعض بلاد الشرق البعيد وخاصة تايلاند .. ثم يعاد تصديرها الى بلاد العالم المختلفة .. بل أن ما يصل عندنا فى الشرق الأوسط يرد الينا من هونج كونج ..

الحكومة تبارك الادمان

وحكومة مستعمرة هونج كونج تغرق الزائر بنشرات تؤكد فيها أمام الرأى العام العالمى انها تحارب المخدرات ادمانا وتجارة .. ولكنها فى الحقيقة لا تتخذ خطوة ايجابية حاسمة نحو منع ذلك .. أحكام السجن لا تصدر الا على الذين يعادون أجندة الحكومة .. لأن الجنود هناك مرتشون وليس لغزا أن يعرفوا كل شىء فى هذه المنطقة الصغيرة .. ولكنهم يعرفون كل البؤر ثم لا يفعلون لها شيئا .. والميناء والمطار مفتوحان لتدفق المخدرات .. والسجن النظيف اللامع الذى زرته يعالج ألفا أو ألفين .. ويترك خارجه مئات الألوف بلا مسكن .. ولا عمل .. تدفعهم الحاجة والجهالة والهروب من الواقع الى هذه الهاوية السحيقة .

كل شىء هناك فى هونج كونج يشير بأصابعه الى المستعمرين القادمين من انجلترا التى تعتبر مثلا للرقى ، والذين لايتورعون فى سبيل تحقيق أطماعهم من تدمير الشعوب عن طريق المخدرات والأفيون والهيروين .

تايلاند

* منظمة (السياتو) تتمزق !
* رئيس وزراء تايلاند يهاجم المنظمة فى عيدها السابع .
* منبع الذعر الذى تشب منه الشياطين الى تايلاند .
* الشعب الذى يبتسم وهو يقاسى تعاسة الحياة .
* الشاى والطعام المحفوظ والكوكاكولا تقدم الى روح بوذا .
* من قمة الحضارة الى بدائية القرون الأولى .. فى لحظات .

عندما أقبلت الطائرة على تايلاند ، وأشرفنا على العاصمة بانكوك، طلب قائد الطائرة أن نربط الأحزمة استعدادا للهبوط ،نظرت من النافذة فرأيت أشعة الشمس ، ترتد لنا من الحقول ، التى غمرتها المياه .كانت السماء صافية بلا سحاب .. ولم تكن هناك أمطار .. ولكن المياه كانت تبدو عميقة فى القنوات والأنهار ، وضحلة فى الحقول ..

وفى بانكوك أيضا .. كانت أشعة الشمس تتسرب من مياه تنتشر فى كل مكان ..

وسألت راكبا من أبناء تايلاند فقال لي :

ــ انه الأرز فى كل الحقول .. وهى قنوات المياه فى معظم شوارع بانكوك .. انك تقبل على (فنيسيا الشرق البعيد) ..

وقلت فى بساطة :

ــ أى بلاد الغرب ، استعمرت تايلاند .. وما هى قصة كفاحكم مع الاستعمار ؟..

واتنفض ابن تايلاند ، وهو يقول :

ــ ان بلادنا عاشت حرة منذ فجر التاريخ . .لم تستعمرنا دولة غربية ولا شرقية .. حدثت حروب قليلة مع بعض الدول المجاورة مثل بورما .. ولكنها دائما كانت تنتهى الى سلام .. وكنا دائما أحرارا .

وابتسمت للراكب ، وعجلات الطائرة تلامس الأرض .. وأنا لا أكاد أخفى دهشتى من هذه المعلومات وقررت أن أقرأ كثيرا عن بلاد الشرق البعيد .. حتى لا نسأل مثل هذه الأسئلة الساذجة .

اذن .. نحن نقبل الآن على بلد لم يعرف الاستعمار فى تاريخه .. ويتميز بطبيعة فاتنة تجعل من عاصمته (فينيسيا الشرق) ..

وغادرنا جو الطائرة المكيف الهواء لنلتقى بجو لزج ثقيل ..الحرارة فيه تشع من الأرض ، وتهبط من السماء .. وأصبح التنفس عملية عسيرة .. الأنفاس تتحشرج فى الصدر .. والزفير يخرج كاللهيب ..

ولكن الناس تبتسم .. والمطار حديث البناء .. وفيه تكييف للهواء.

وتلفت الى اليمين فوجدت مكتبا ترتفع عليه لافتة تقول (مكتب تشهيلات القوات الجوية الأمريكية) ، وفيه جنود من الأمريكيين .

تايلاند اذن تحمل فوق أرضها قوات أمريكية .. وبانكوك العاصمة هى مقر رئاسة حلف جنوب شرقى آسيا ..

أى دول يضمها هذا الحلف الذى يسمى (السياتو) اختصارا لحلف جنوب شرقى آسيا .

انه يضم دولتين فقط من آسيا هما تايلاند والباكستان ..ثم الفيلبين

واستراليا ونيوزيلند .. وبعد ذلك يضم من الغرب البعيد الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا .

وتصادف أني وصلت الى بانكوك . ومنظمة (السياتو) تحتفـل بالعيد السابع لانشائها ..

وعندما يحتفل (السياتو) بعيد مولده السابع .. فان تايلاند كلها يجب أن تشارك فى الاحتفال .

وفى الطريق من المطـار الى الفندق .. كانت أعلام الدول الثمانى أعضاء الحلف ترتفع فوق أكثر من مكان . مقر قيادة الحلف ، ثكنات الجيش ، كلية الهندسة التى تتبع الحلف بعض مبانى الحكومة .

ولكن حلف (السياتو) يمر بأزمة خطيرة تهدد كيانه ..

حلف (السياتو) يتمزق

وظهرت معالم هذه الأزمة فى خطبة رئيس وزراء تايلاند .. الذى قال : ان هذه الذكرى السابعة تؤكد أن (السياتو) لا يقـدم للدول الأعضاء خدمات نافعة .. بقدر ماتبذل له هذه الدول من اخلاص ..

والأمر الذى يزعج حكومة تايلاند .. وهى حكومة عسكريةيرأسها الفيلد مارشال (ساريت تهاتارات) الذى قاد انقلابا عسكريا فى ٢٠ اكتوبر ١٩٥٨ . هو أن الموقف السياسى فى لاوس لم يتحدد بعد .

ولاوس هى منبع الذعر الذى تثب منه الشياطين الى تايلاند .. القوات اليسارية التى يرأسها الأمير سوفانا يونج ، والقوات المحايدة التى يرأسها الأمير سوفانا فوما .. تعكس أثرا فكريا بالغا على شعب تايلاند الذى يطلب التحرر من قيود الأحلاف العسكرية .

وشعب تايلاند يحب السلام تماما مثل شعب لاوس .. وهو لم يخض فى تاريخه حروبا مدمرة .. وهو يؤمن ايمانا عميقا بالبوذية التى تعادى الحرب وتكره العدوان وتنفر من الدماء .

وقد أتيحت لى فرصة مقابلة وزير خارجية تايلاند مستر تهـانات خومان .

التقيت به فى داره التى تجمع أكثر من فيلا فى حديقة واحدة .. والوزير تخرج فى الجـامعات الفرنسـية وهو من رجال المدرسـة الدبلوماسية التى تحرص على أن تكون الـكلمات دائما ناعمة وغير حادة .. والذى يؤمن بأن العملة الواحدة لها وجهان .

وسألت الوزير الذى كان سفيرا فى الولايات المتحدة عنأثر خطبة رئيس الوزراء ، وعن نية تايلاند فى الخروج من حلف (السياتو) .

وقال الوزير فى لباقه .. (اننا نراجع أعمالنا سنة بعد أخرى .. ونحن لاننوى أن نترك الحلف حاليا .. ولكن ربما فكرنا فى ذلك ..)

واستطرد قائلا (اننا نوفى بكافة الالتزامات .. ولكننا لانستفيد شيئا .. ولهـذا فان مجلس الوزراء يبحث ارتبـاط الدولة بمنظمة السياتو) التى قال عنها أنها درع للغزو وللدفاع وهى لا تنـوى الاعتـداء .

وعندما سألت الوزير فى صراحة

ـ هل تتوقع غزوا من الصين ؟

كانت الاجابة

ـ نعم ولا .. من الناحية العسكرية أمر بعيد الاحتمال .. ولكن هناك غزو سياسى بالأفكار .

وعندما تحدثنا عن عدد أعضاء الحلف ، قال الوزير (ان العبرة فى عدد أعضاء الحلف بالكيف وليس بالكم) ..

ومن كل هذه الظواهر ، تستطيع أن تحكم بأن حلف جنوب شرقي

آسيا ، الذى ترعاه دول حلف الأطلنطى .. ليس الا حلفا هزيلا ،لاتربط أعضاءه وحدة فكرية ولا سياسية .. والدول المشتركة فيه جميعـا تفصلها عشرات الألوف من الأميال ، وبحار شاسعة .

(السياتو) يتمزق ، لأن هناك عوامل متنافرة تتنازعه من كل جانب ، الموقف فى لاوس وايمان شعبها بالحرية والسـلام المطلق .. التنافر الواضح بين دول الحلف فى الأهداف والآمال المشتركة .. رغبة شعب تايلاند فى التحرر من الأحلاف والتمتع بالاستقلال الكامل غير المنحاز .. سخرية دول جنوب شرقى آسيا من هذا الحلف المندثرايمانها جميعا من بورما الى الملايو الى كمبوديا الى أندونيسيا الى الهنـد بمبادىء عدم الانحياز .

وقد رحبت تايلاند بدخول الجيش اليابانى فى الحرب العـالمية الثانية .. ثم انحازت بعد ذلك الى المعسكر الغـربى ، وارتبطت مع أمريكا ، بمعاهدة دفاعية .. ثم أصبحت بانكوك مقر رئاسة الحلف العسكرى الجديد .

ولعل هذا يوضح نوعا طبيعة حكام تايلاند .. انهم يعرفون أن الشعب يطلب السلام .. وانه يؤمن بالبوذية المسالمة ايمانا عميقـا .. ومن أجل هذا يتعاونون مع العدو ، ويسلمون اليه مقاليد الأمور فى سلام أيضا .

والبوذية هى دين الأغلبية العظمى من سكان تايلاند .. ولعلهـا أكثر بلاد العالم رهبانا ومعابد .

بانكوك وحدها تضم ٤٠٠ معبد بوذى .. ومعظم الشباب فيهـا ينضمون الى سلك الرهبان لمدة ثلاثة شهور .. تكون هى شهورالأمطار.

والكهنة فى تايلاند يلبسون (عباية مشمشى وصندل ، والـكتف اليمنى عارية .. ويحملون كيسا من القماش تكون فيه غالبا مأكولات.

والكهنة لا يحق لهم العمل واكتساب الرزق .. و لايحق لهم التسول أيضا .

ولكنهم يتقبلون الصدقات والاعانات .. ذلك لأن البوذيين جميعا، يهرعون الى معابدهم وهم يحملون المأكولات والمشروبات ليقدموها الى روح بوذا .

فى معبد بوذى

ذهبت الى أحد المعابد البوذية فى بانكوك .. وهى تتميز بهندسة خاصة طليت قبابها بالذهب ، الذى يعكس ضوء الشمس الحلو .

وفى ساحة المعبد .. بجوار قصور الملك التى خصصت للاحتفالات ومراسيم الجناز .. توجد بعض الأسر التى تجتمع فى جماعات صغيرة ، تجلس فى حلقات ، ومعها الأكل والشرب ، وتقرأ التعاليم البوذية .. حتى الأطفال الصغار يدربون على ذلك وهم لم يصلوا بعد الى سن العاشرة .

واقتربنا من المعبد .. وخلعنا الأحذية .. وأضأنا شمعة وضعناها على الباب فى ضوء النهار .. وصعدنا درجات .. ودخلنا معبدا يشبه المسجد فرش بالحصير .

ثلث هذا المعبد أحيط بحاجز قصير .. وارتفعت فيه التماثيل ، واختفت فيه صناديق كبيرة ، خلف قماش من حرير ثمين .

وثلث المعبد الآخر .. تناثر فيه الرجال والنساء والأطفال ،حضروا جميعا لصلاة فردية بلا موعد .

لم يحضروا وحدهم .. وانما حضروا ومعهم الطعام والشراب .. الشاى والفاكهة والخبز والجبن والعلب المحفوظةوزجاجاتالكوكاكولا

وتستمر زياراتهم متصلة طوال اليوم .. البعض يقبــل والبعض يذهب .. والمعبد مفتوح والرهبان يتلقون الصدقات .

وهى عقيدة دينية أن يترك الناس حول تمثال بوذا ألوانا من الطعام والشراب .. لاعتقادهم أن روحه سوف تقبل فى الليل وتتناول هذا الطعام .

وفى بيوت الأثرياء .. شاهدت تماثيل خاصة لبوذا وحولها ألوان مختلفة من الطعام .

والرهبان ينتشرون فى بانكوك انتشارا غريبا .. يلبسون زيا موحدا ويتدربون فى المعابد على ضبط النفس والصبر والابتسام .

ولذا فانه يصعب عليك أن تشهد مشاجرة فى الشوارع .. ولن تسمع مناقشة عنيفة .. وعلى كل الوجوه ترتسم ابتسامة وديعة .. جعلت هذا الشعب يشتهر باسم (الشعب الباسم) .

هذا الشعب الباسم يعانى فى الحياة معاناة شديدة .. فانه الى جوار الحر الذى يثقل الصدور ، ويثير الأعصاب يعيش معظم أهالى تايلاند فى حالة (فقر غير انسانى) .. لمسته فورا ونحن فى الطريق من المطار الى « لوكاندة راما » التى يمكن مقارنتها بأحدث الفنادق فى أعظم العواصم .

الطريق لايتجاوز ٣٠ كيلو .. ومع هذا قطعناه فى ساعة كاملة .. لأن زحمة العربات كانت ملحوظة ، ولأن الشوارع كانت ضيقة وبعضها فيه اصلاح .

على جانب معظم الشوارع فى بانكوك توجد قنوات وترع صغيرة .. الماء فيها راكد تقريبا ، ولونه يكاد يكون فى لون التراب ، والدور معظمها من الخشب .. والناس عرايا من الحر والفقر معا .. والنظافة لن تعثر لها على أثر فى هذه المحلات التى تنتشر على القنوات والترع ، وحولها القاذورات متناثرة .. التى لاتحجب الشمس ولا المطــــر ..

كل هذا يضع الانسان فى مأزق ..

ربما كان فى معظم العالم فقر وضيق .. ولكن الانسان يمكن أن يستريح فى ظل شجرة .. ولكن هناك لابد وأن يعانى ، فانه من الصعب أن يستريح .

السوق العائم

وتبلغ أنفس صور الانسانية .. فى هذه المنطقة التى يحملون اليها السياح .. والتى تسمى (السوق العائم) .

الناس فى السوق العائم لايتصلون بالعالم الا عن طريق الترع والقوارب .. منازلهم من خشب قديم على ترع صغيرة خارج المدينة ، ومن خلفهم الغابات بكل ما فيها من حيوانات وثعابين .. وغصون أشجارها تتعانق مع المياه .

وكل شىء فى هذه المنطقة يعتمد على القوارب .. التجار يحملون بضائعهم فى قوارب ويمرون على الدور والناس يركبون القوارب للشراء من بعض المحلات الثابتة ..

والمياه الصالحة للشرب معضلة كبيرة فى هذه المنطقة التى تتدفق فيها المياه من السماء ، وتكثر فيها الترع .. ذلك لأن مياه الترع فى غاية القذارة ، اذ تتسرب اليها كل الفضلات .. والناس يشترون المياه الصالحة للشرب التى تمر عليهم فى قوارب أيضا .. وبعضهم يحجز مياه الأمطار فى براميل كبيرة ويشربون منها .. وهكذا تنتشر بينهم الأمراض

وليس للناس فى هذه المنطقة الكبيرة مهنة معروفة يعتمدون عليها فى حياتهم .

ورغم الحشد الهائل من الناس فى مكان ضيق .. فان الهدوء سائد دائما لاتسمع أصواتا عالية ولا مشاجرات من أى نوع .. الأطفال فى

البوت يتكاثرون كالذباب .. وهم عرايا ولكنهم لايصرخون .

والسوق العائم صورة فريدة تتميز بها (تايلاند) .. ومن أغرب ما لاحظته أن هناك محطات للبنزين تزود اللنشـات بالوقود .. وأنه يمكنك أن تلحظ لمحات من الغرام بين ركاب القوارب والراكبات .. وأن ثمار الفواكه ضعف حجمها الذى نعرفه هنا فى القاهرة ..

وغادرت السوق العائم ، ونظرة النـاس الشـاردة تلاحقنى .. وأجسامهم المعروقة لاتضيع عن عينى .

انك فى تايلاند تنتقل من قمة حضارة القرن العشرين الى بدائية القرون الأولى .. من الفنادق المكيفة الهواء التى تنعم فيها بكل شيء .. الموسيقى وحمام السباحة وصـالات اللعب والأجهزة الأوتوماتيكية ونوادى الليل .. الى الحياة التى كان يعيشها الانسان منذ أكثر من خمسة آلاف عام لم يتغير فيها شيء ولم يتبدل .

وتايلاند لا تعرف من الرقص الا النوع التقليدى الذى أصبحت له قواعد ترتبط بتاريخ البلاد .. ولكنهم لايعرفون المسرح الدرامى ، وليست لهم فرق كاملة للرقص الشعبى .. مازالوا يعتمدون على عدد محدود من الراقصين والراقصات .. ودور السينما منذ حلف(السياتو) وهى تعرض أفلاما انجليزية وأمريكية بعد أن كانت أكبر نسبة من الأفلام التى تعرض فيها يابانية .

وحياة الليل فى تايلاند مظلمة ، الا من الكباريهات التى تشجعها القوات الأمريكية وبعض السياح من الأجانب .

وتأخذك الدهشة فى هذه البلاد من كثرة فتيات الليل وانتشـار الدعارة ، وكثرة عدد الذين يرتبطون بهذه التجارة .

وقد سمعت أن هناك تنظيمات احتكارية واسعة هى التى تدفع الفتيات الى تجارة الجسد ، وتكسب من وراء ذلك ثروات طائلة .

وقد همس فى أذنى أحد رجال الفندق الحديث الذى نزلت فيه قائلا ، ان هذه الصورة الفاضحة التى تراها لمجتمعنا حديثة علينا .. منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .. ونحن نعانى معـاناة شـديدة من تصرفات الأمريكيين الذين يشترون كل شىء بالدولار حتى الشرف .

وقد تحولت رغبات شعب تايلاند فى المرح والانطلاق .. الى انحلال فى المدن .. وبؤس فى الغابات والحقول .

ورجال السلك الديبلوماسى يعيشون حياتهم فى سهرات متبادلة ، يذهبون الى النادى الوحيد فى المدينة ونادرا ما يجدون مكانا مناسبا لتمضية سهرة عامة .

قضيت ليلة هناك فى دار سفيرنا السيد محمد السبكى .. وكنـا نجلس فى الشرفة وتحت أقدامنا شىء يحترق مثل البخور يمنع الناموس من الاقتراب .. هذا من الوجهة النظرية فقط أما الحقيقة فان لدغات الناموس قاسية مثل لدغة العقرب .

وقدمت لنا السيدة حرم السفير أنواعا من الفاكهة حلوة المذاق ، ولا نعرفها فى القاهرة مثل المانجوت والرامبونان والبابايا واللاميا .. ولم نعرف الموز لأنه مثل الشمام عندنا ..

وفى سهرتنا مع السفير وحرمه علمت أن أحدا من أبناء الجمهورية العربية المتحدة لم يقض فى تايلاند هذا العام .. الا وقفات العبور .. وان هناك عددا كبيرا من المسلمين يعيش فى الجنوب على حدود الملايو المسلحة .

وهذه البلاد رغم أنى قضيت فيها أياما عابرة .. الا أنى شـاهدت فيها ألوانا جديدة من حياة البشر .

والسـائح الذى يذهب الى أوروبا كل عام لا يرى من العـالم الا صورته الفاتنة ووجهه الجذاب .

أما هذه البلاد فى الشرق البعيد فانها تستحق من كل صاحب مقدرة أن يتجه الى هناك ، ليرى الانسان وهو يقاوم قسوة الطبيعة ومصاعب الحياة ..

لقد عدت من تايلاند .. وأنا أشعر أن بلادى هى جنة الأرض .. الحر عندنا نسيم عليل .. والطبيعة لاتفترس الانسان ، ولا تطلق فى أثره الذئاب والنمور وثعابين الكوبرا .. والمطر لايحول الأرض الى بحار من طين يخوض الانسان فيها الوحل حتى ليعجز عن المسير ..

هذه البلاد فى الشرق البعيد .. أصبحت تغرينى بزيارة طويلة أتعرف فيها على هؤلاء الذين أمضيت معهم أياما .. وعدت من عندهم وفى قلبى عطف عليهم وحسرة .. أذكر وجوههم الوديعة وأجسامهم المعروقة الهزيلة .. وبسمتهم التى لاتغيب .

غرائب فى تايلاند

* تايلاند بلد يعتمد على الزراعة اعتمادا كاملا .. لا يوجد به الا نوعان من الصناعة .. الأسمنت والصابون فقط ..

* الشمسيات هى التى تحدد المستوى الاجتماعى للفرد .. كلما زاد عدد طبقاتها دل ذلك على ارتفاع مستوى حاملها .. شمسية الملك من ٨ أدوار .

* الموز هناك له أكثر من ١٠٠ نوع .. وهو يباع طازجا أومشويا أو على هيئة خبز .

* ثعابين الكوبرا تنتشر فى تايلاند وتشاهد أحيانا فى الشوارع .. يؤمن الأهالى بأن من لا يتعرض لها لا يصيبه منها أى ضرر .

* غيرت سيام اسمها الى تايلاند .. لأن سيام تعنى «أرض السود» وتايلاند « أرض الأحرار » .

* القطط السيامية هى أشهر أنواع القطط فى العالم .. ولكنك اذا جبت تايلاند من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب .. فانك لن تجد قطة سيامية واحدة .. وهكذا ينطبق المثل « الصيت ولا الغنى » ..

* مصلحة السياحة أصدرت بيانا عن عدد الزوار والأجانب الذين زاروا بانكوك خلال عام ١٩٦٠ .. الدولة الوحيدة التى كتبتها فى هذا البيان من دول الشرق الأوسط هى اسرائيل .. والغريب أن أحدا من اسرائيل لم يصل الى هناك ..

* ملك تايلاند عازف عالمى على الجيتار .. سجلت له أسطوانات لا تباع فى السوق .. وانما توزع على الخاصة فقط .

بين الارجواز وخيال الظل فى تايلاند

الذين يزورون بلاد الشرق البعيد .. يلمسون أن الفنون فيها عريقة القدم ، وانها تتصل بالدين ، وترتبط بالأساطير .. وتعيش مع الناس فى تقديس جيلا بعد جيل . الرقص ليس عملا من أعمال الاثارة .. لا يحرك الغرائز ، ولا تكشف فيه الراقصات عن أجسامهن .. والمسرح يروى أساطير التاريخ ، وأمجاد الشعب ، فيبتعد عن الاسفاف والابتذال .. والموسيقى تحمل نغمات الماضى ، لا تتحرر منها وتجرى وراء الروك اندرول .

وفى « تايلاند » التى كانت تعرف باسم « سيام » .. وبدلت لأن سيام تعنى « أرض السود » وتايلاند « أرض الأحرار » .. أقول فى تايلاند تنهض رقصات تقليدية تمتد كلها الى جذور تاريخية .

رقصة الشموع مثلا التى تحمل فيها الراقصات شموعا مضيئة ، يتحركن بها حركات رشيقة ، دون أن ينطفىء نورها الذى يتسلط دائما

على وجه الراقصات .. كانت تقدم فى المعابد أثناء الصلاة .. ثم انتقلت الى القصور .. وأخيرا كتبت لها أشعار جديدة على الوزن القديم .. وهى رقصة نبتت فى الشمال .

ورقصة « دافادونج » الرشيقة ، أخذت من صلاة المسلمين ، ولهذا قدمت الى بانكوك من الجنوب .

ورقصة « رام وونج » هى الرقصة الشعبية المحبوبة عند سكان تايلاند .. ولذلك اهتمت الحكومة هناك بتطويرها ، حتى يرقصها الفتيات والفتيان ، وينمو التعلق بها .. وألفت من أجلها الأغنيات العاطفية الحديثة .

هذه الرقصات وغيرها ، شاهدتها ليلة وصولى الى بانكوك .. قدمت لنا « فرقة الرقص التقليدى » رقصاتها فى صالة الفندق .

الفتيات يلبسن ٢٤ قطعة من الحلى والملابس من الخلخال فى القدم العارية الى التاج الفضى المدبب فوق الرأس .. الى الزهور التى تتدلى حول الأذن الى غير ذلك من المجوهرات والملابس .. التى تتغير أو تقل أو تزيد تبعا لاختلاف الرقصات .

حركات الراقصات رشيقة هادئة على نغمات الأوركسترا الذى يجلس على الأرض ، ويتكون من خمسة أفراد ، يلبسن قمصان بيضاء .. بينما قائد الفرقة يلبس (جاكيت) كحليا ، وربطة عنق حمراء .
وآلات الأوركسترا بعضها يشبه البرميل .. ومنها الناى الذى نعرف نغماته عندنا فى الريف .. وأنغام الأوركسترا تبدأ هادئة ثم تزداد عنفا ، حتى تبلغ قمتها فى رقصات الحروب ، التى يلبس فيها الراقصون أقنعة على الوجوه من الحديد .

وقائد الفرقة يقدم الرقصات واحدة بعد أخرى .. عندما تنسحب الراقصات لتغيير ملابسهن .. اذ أنه أمر يكاد يبلغ مرتبة التقديس ..

أن تقدم كل رقصة بملابسها الخاصة .. لأنها دائما تعبر عن فكرة أو امتداد لتاريخ .

وعندما تنتهى الرقصات التى تبعث فى النفس الهدوء . . وتعطر الروح بجمال التعبير ، تسجد الراقصات أمام المتفرجين .. ثم ينهضن وينسحبن فى رشاقة .. ولا يعدن مهما اشتد التصفيق .. ولا يرتفع عنهن الستار من جديد .

ذهبت الى الفرقة فى الكواليس .. ورأيت معهن سيدة عجوزا ترعاهن وتساعدهن على اللبس والاستعداد .

وقدمها لى مدير الفرقة على آنهـا مدربة الفـرقة ، التى تلتقط الراقصات من الأقاليم .

انها تنتخب لرقصات الشمال .. فتيـات من الشمال ، وتنتخب لرقصات الجنوب ، فتيات من الجنوب .. ورقصة العاصمة بناتها من العاصمة .

وهى فى الستين من عمرها ، ولكنها عرفت الرقص فى العاشرة .. ومن حديثى معها الذى كان يترجمه مدير الفرقة .. عرفت أنها تعيش مع الفتيات فى مكان واحد .. لا تسمح لهن بالاختلاط مع الرجال .. ولا تصرح لهن بالذهاب الى السينما .. تأخذهن معها الى معابد بوذا التى تنتشر فى كل مكان .. وتبلغ فى بانكوك وحدها ٤٠٠ معبد .

بين الارجواز وخيال الظل

وتايلاند لا تعرف المسرح الحديث .. والصلة بينها وبين الآداب الحديثة تكاد تكون مقطوعة ..

ومن هنا لا تعرف تايلاند الا نوعين من المسرح هما أقرب مايكونان الى الأراجوز وخيال الظل .

والمسرحيات القريبة من الأراجوز تسمى « الهون » وهى تترجم الى « النماذج » .. وهى لون من ألوان مسرح العرائس .. ولو أن العرائس قد ترتفع أحيانا الى متر كامل ..

وقد تحولوا بهذه المسرحيات الى الاتجاه الحديث وتخلصوا من قيود الماضى السحيق . بدأوا يدخلون عليها ألوانا من الفكاهةالحديثة حتى تجذب جمهور المتفرجين .. وقصة المسرحية تروى بالغناء مع الكورس والموسيقى .. وتتحرك النماذج لتتوافق حركاتها معالكلمات « والنونج » وتترجم الى « الجلد » أو « الاختفاء » .. ولكنها صورة من صور خيال الظل عندنا .. وقد تخلى هذا اللون من الفنون عن نصائح الدين ، وتعاليم البوذية التى كان يعتمد عليها .. وأخذ يعبر عن روح الفكاهة التى يسعد بها المتفرجون .

وبين الأراجوز .. وخيال الظل .. يتأرجح الناس فى تايلاند .

مسرحيات « الخون واللاخون »

وتوجد فى تايلاند ألوان من الدراما القديمة ، كادت تندثر ولم تعد لها مسارح خاصة مستديمة .. وانما تقدم أحيانا فى المناسبات الهامة .

وهى تنقسم الى نوعين « الخون » وهى عريقة فى القدم .. كانت ترتبط بحفلات تتويج الملوك .. ولكنها تحللت حتى أصبحت لونا من ألوان التسلية فقط .. ويلبس فيها الممثلون من الرجال أقنعة تظهر أدوارهم بطريقة مباشرة .. ونادرا ما يلعب النساء أدوارا فى هذه المسرحيات ، اذ كثيرا ما يلعب الرجال دور النساء .

والخون تنسج من رقصات تحتاج الى مرونة شديدة .. ولذا فانه لا يمكن للممثل أن يظهر على المسرح قبل تدريب رياضى عنيف ، يمتد على الأقل لمدة عام كامل .. ومن أجل هذا نادرا ما تظهر النساء على المسرح .

ويزداد الاعتماد فى هذا اللون من المسرحيات على « البانتوميم » أو التمثيل الصامت .

أما فى النوع الثانى الذى يسمى « اللاخون » .. فان الممثلين لا يلبسون الأقنعة الا اذا كانوا يمثلون أدوار الملائكة والشياطين أو الحيوانات مثل القرود .

وقد يقوم بعض الممثلات بأدوار الرجال .. رغم أن النساء لم يظهرن على المسرح اطلاقا قبل قرنين من الزمان .

وهناك خلاف آخر بين « الخون » و « اللاخون » .. هو أن الحوار فى الثانية يعتمد على الغناء .. وعندما يقوم الكورس بالغناء ، يقوم الممثل ببعض حركات « البانتوميم » ثم يتابع الحوار بنفسه عندما يتوقف الغناء .

هذه الصورة السريعة التى قدمتها لك عن فنون (تايلاند) شاهدتها فى الليالى التى قضيتها هناك .. وكلى احساس بأن رقصهم التقليدى مازال يحتفظ بطابع رشيق ، يجذب الذين يقدرون الفن الصادق .. أما الأراجوز وخيال الظل والمسرحيات الكلاسيكية .. فلا شىء فيها يجذب الانسان أو يثير فيه الشهية الى متابعة الأعمال الفنية.

وبعد .. فان الشرق البعيد .. بعيد فعلا عن كل ما يتصل بتقدم الفنون وتطورها ..

اليابان أكثر الدول انتاجا للأفلام

ربما كانت طوكيـــو أكثر بلاد العـــالم استخداما لأنوار النيون .. واجهات المحلات فى الشوارع الرئيسية تشع منها الأضواء .. والاعلانات تنتشر فى كل مكان .. تطفأ وتضاء فى جنون وتستخدم كل وسائل الفن والاغراء .. وأضواء طوكيو تعلن عن أنها مدينة من مدن الليـــل التى يستطيع فيها الانسان أن يقضى السهرة فى أكثر من ميـــدان من ميادين الفنون .

واليابان تهتم بالفنون منذ أقدم العصور .. فالبلاد مشرقة بجمـــال الطبيعة ، وأهلها عاطفيون .. والحكومات هناك تشجع الفنون .

وفى يوم ٣ نوفمبر من كل عام ، تحتفل البلاد بعيد وطنى يسمى (يوم الفن) أو يوم الثقافة .. وهو عيد وطنى بدأت الاحتفالات به عام ١٩٤٦، أى فى العام التالى لانقضاء الحرب العالمية الثانية مباشرة .

وتنظم المهرجان لجنة يختارها وزير التربية .. اذ ليست هناك وزارة للثقافة .. وتشترك اللجنة فى وضع برنامج العيد مع الهيئات الفنية المختلفة .. كمـــا انها تقيم مهرجانات مسرحية وسينمائية ومعـــــارض للفنون التشكيلية .

ولا تقتصر المهرجانات على طوكيو .. وانما تمتد الى معظم البلاد .. وتعد أيضا معارض متنقلة .

وهذه المهرجانات بما تضمه هى صـــورة للفنون اليابانية فى كافة ألوانها .

ولعلنا لا نعدو الحقيقـة اذا قلنا ان أهم وأنجح ألوان الفنـون فى اليابان هى السينما .

ومستقبل السينما هناك مشرق لا يتأثر بانتشار التليفزيون كمـا يحدث فى أمريكا ومعظم دول أوروبا ، ويساعد على ذلك قيام صناعة الفيلم الخام هناك .. ورخص الكاميرات الى درجة لاتصلها فى أية دولة من دول العالم .

واليابان هى أول بلاد العالم من حيث عدد الأفلام التى تنتجها !

أنتجت عام ١٩٦٠ حوالى ٤٥٤ فيلما طويلا ، ٢٦٥ فيلما ثقافيا ، ٣٢٩ جريدة سينمائية .

وقد بدأ العالم يفطن الى مدى ما بلغته الأفلام اليابانية من تقدم منذ ظفر أحد أفلامها بالجائزة الأولى فى مهرجان الأفلام الدولى بالبندقية عام ١٩٥١ .. وتوالت بعد ذلك الجوائز التى حصلت عليها الأفلام اليابانية فى المهرجانات الدولية حتى بلغ مجموعها ٥٠ جائزة .

وقـد فتحت اليابان لأفـلامها أسواقا جديدة فى ٢٦ دولة فى آسيا وأوروبا وأمريكا الجنوبيـة وأدى هذا الى اغراء كثير من الدول على انتاج أفلام مشتركة .. مثل فيلم (مشرب الشاى فى ضـوء القمر) مع أمريكا ، (عاصفة على نجاساكى) مع فرنسا ، و (مدام باترفلاى) مع ايطاليا .

والسينما اليابانية اليوم تسير مع تطور السينما العالمية .. شاهدت هناك أفلاما بالسينما سكوب .. بل انى سألت فعلمت أن نسبة أفلام السينما سكوب تبلغ ٧٥٪ من مجموع الانتـاج ونسـبة الأفلام الملونة ٣٠٪ .

والصفوف الطويلة تقف أمام دور السينما ، اذ يقبل عليها اليابانيون اقبالا شديدا .. وقد قدر عدد رواد السينما عام ١٩٦٠ بنحو ٧٥٠ مليون شخص .. يترددون على أكثر من ٧٠٠٠ دار للسينما !

وكل الأفلام التى تعرض فى اليابان مدبلجة ، تنطق باليابانية .. هذا رغم وجود قوات الاحتلال الأمريكية هناك .. وعرض كثير من الأفلام الأمريكية .

وتوجد للسينما عدة جوائز لا تقـدمها الدولة وانما تقدم جريدة (داينشى) ثلاث جوائز سنوية لأحسن انتاج سينمائى ، وجائزة اتحاد السينمائيين للسينما اليابانيـــة ، وجائزة مجلة جامبو لأحسن قصـــة سينمائية .

ولكن قيمة هذه الجوائز لا ترتفع عندها الى خانة الألوف .. وانما تقدر بحوالى ٢٠٠ جنيه فقط للجـائزة .. فهى تجمع بين تقـدير مادى متواضع وتقدير أدبى محترم .

الرقص

واذا انتقلنا من السينما الى الرقص .. فاننا نجد أن الرقص مرتبط بالمسرح والديانات القديمة .. ولا زال الرقص الكلاســيكى يزاول الى اليوم خلال المسرحيات القديمة .. وفى القصر الامبراطورى تقام حفلات الرقص الكلاسيكى بين حين وآخر ، كما تقام هذه الحفلات فى المعابد فى الاحتفالات الدينية .

وهناك لون آخر من الرقص الكلاسيكى تؤديه فتيات الجيشا .. ولا يزال يعرض فى العاصمة القديمة « كيوتو » فى الربيع من كل عام .

أما فى طوكيو فان الاحتلال الأمريكى قد قضى تقريبا على نظـــام الجيشا ، ولم يعد لهن فى المجتمع مكان .. بعد أن تحولن الى بائعـــات

للهـوى يربحن من وراء ذلك مبالغ وافـرة ، ويعشن حياة أكثر راحة ودعة ..

وطوكيو مدينة تفقد الصـلات التى تربطها بالفن الكلاسـيكى .. وتتحول الى مدينة يسودها الطابع الأمريكى .

دخلها الرقص الكلاسيكى .. ولكن جعل محصورا فى دائرةقصور الأثرياء أو على خشبة المسارح التى تقدم انتاجا كلاسيكيا .

والرقص الحديث ينتشر فى أندية الليل انتشارا كبيرا .. ومع ذلك فقد ولد فى اليابان بعد الحرب لون جديد من الرقص يرمى الى تطـوير الرقص اليابانى ، بحيث تصبح فيه لمسة من لمسات الغرب .

ومعروف طبعا ان الرقص يرتبط بالموسيقى .. وقد تأثر اليابانيـون بموسيقى الغرب تأثرا كبيرا .. وطوروا موسيقاهم الكلاسيكيةلتقترب من الموسيقى الغربية .. واستخدمت بعض آلات الموسيقى كالـكمان والبيانو والفلوت .

وقد لا يتسع المجال هنا للحديث عن بقية ألوان الفنون الأخرى مثل المسرح بما فيه من مسرحيات درامية وغنائية واستعراضات راقصة ومسارح للعرائس والأطفال .

ويكتفى منا بهذا القدر لنقوم معا فى وقت آخر بجولة فى مسارح طوكيو التاريخية والمعاصرة .. وفى أنديتها الليلية التى تقدم مسرحيات استعراضية تفوق ما تقدمه باريس .

والذين عرفوا طوكيو ، وباريس يستطيعون أن يحكموا فى سهولة أن طوكيو قد تفوقت فى مسرحها الاستعراضى ، الى درجة تبعث على الدهشة .

المسرح الاستعراضي يكتسح المسرح الجاد

التقدم الكبير الذى أحرزته السينما اليابانية .. يجعلها تقف فى طليعة الفنون . ويرجع ذلك ـ فى اعتقادى ـ الى أسباب تجارية .. فان انتاج الأفلام عمل مربح ، حيث يمكن توزيعها فى كل المدن ومعظم القرى .. وتبادلها أيضا مع مختلف الدول ، أما المسارح الجادة فى اليابان ـ وفى طوكيو بالذات ـ فانها تعانى منافسة جادة قاسية من المسارح الاستعراضية ، والنوادى الليلية التى تنتشر فى طوكيو ، أكثر مما فى باريس .

واليابانيون بصفة عامة يتميزون بأنهم تجار .. يسعون دائما وراء الربح .. وليست هناك وزارة للثقافة ، والدولة لا ترعى الفنون الا فى حدود التشجيع العام فى عيد الثقافة والفنون الذى يعقد فى نوفمبر من كل عام .

والمسارح كما هو معروف تحتاج من أجل الاجادة الى مصاريف باهظة .

ويتميز الفن المسرحى فى اليابان بناحية مهمة ، هى انه يرتد فى أصوله الى التاريخ القديم ، أيام كانت تسيطر على حياتهم الخرافات والأساطير ، ويسجل تاريخ المسرح اليابانى أن أقدم المسرحيات كانت تسمى « كاجوارا » وهى رقصات دينية مصحوبة بالموسيقى القديمة ، ومنها تطورت المسرحية اليابانية الموسيقية التى تعرف باسم « نو » وما زالت تمثل حتى الآن ، والمسرحيات الهزلية « كيوجين » .

والمسرح الذى تقدم عليه مسرحيات « النو » يقع فى وسط المدينة .. مبنى على طراز يابانى قديم ، وهى تقـدم مرة كل شهر .. ويشرف على تقديمها « جمعية مسرحيات النو » التى تألفت بعد الحرب العالمية الثانية للمحافظة على الطابع الكلاسيكى لها ...

شاهدت واحدة من هذه المسرحيات .. وكلمة « نو » تعنى التمثيل أو الأداء .. وما زالت تعتمد على الرقص والموسـيقى .. يتغنى فيها المثلون بالشعر القديم ، بينما يحكى الكورس قصة المسرحية ،ويلبس المثلون أقنعة على وجوههم ، ويصففون شـعورهم على الطـريقة القديمة .

ويصحب مسرحيات « النو » مسرحيـات « الكيوجين » وهى من فصل واحد تقدم بين الفصول والغرض منها تخفيف التوتر الحاد الذى يشعر به المتفرج من مشاهدة مسرحيات النو العنيفة .. وهى مسرحيات تخلو من الموسيقى التى تصدع الآذان .

ولا أخفى سرا اذا قلت انى حضرت فصلا من « النو » وفصلا من « الكيوجين » وخرجت الى الشارع هاربا ، وطرقات الموسيقى تدق فى أذنى ، وجهلى باللغة يثير أعصابى .. وما أظن أحـدا لا يعرف اليابانية يستطيع متابعة عرض كامل لهذا النوع من المسرحيات ، المهم انه ما زال يوجد منها فى اليابان كلها حوالى ٣٠ مسرحا ..

وليس هذا هو اللون الوحيد من مسرحيات اليابان الكلاسيكية التى ترتد الى القرن الثانى عشر .. هناك نوع آخر حديث نوعا يرتد الى أواخر القرن السادس عشر ، ويسمى « كابوكى » وترجمتها « ينسى نفسه » !!

ابتدعت هذا اللون راقصة ساحرة كانت تؤدى بعض الرقصات ، وهى تلبس ملابس الكهان وتغنى أغنيات دينية بسيطة .. وانضم اليها بعض الفتيات ..

ولكن لم تمض على ذلك أعوام ، حتى صدر قانون يمنع الفتيـات من مزاولة الأعمال المسرحية ووثب الرجال الى مكاناتهن .. وما زالت هذه المسرحيات تقدم حتى اليوم وكل أفرادها من الرجال، الذين يلبس بعضهم ملابس النساء اذا احتاج الدور الى ذلك .

والكابوكى تقدم مآسى من التاريخ وتعتمد على الحوار الشعرى ، الذى يلقى بطريقة المبالغة ، مصحوبا بالموسيقى، وحركات الممثلين متكلفة تكاد تقترب من الرقص .

المسرح الحـديث

ولا يعنى هذا ان اليـابان قد خلت من المسرح الحـديث .. بعض الفرق تقدم مسرحيات غربية لتنيسىو يليمز ويوجين اونيل وشكسبير.. وذلك بعد الحرب العالمية الثانية فقط .

وهناك أيضا اتجاه الى تقديم مسرحيات يابانية معاصرة .. ولكنها لم تصل بعد الى المستوى الذى يتيح القول أن هناك نهضة مسرحية معاصرة فى اليابان .

ولم تتح لى زيارتى القصيرة هنـاك فرصة دراسة هـذا اللون من المسرحيات أو متابعة ما يقدم منه .. واللغة هى حجر عثرة التى تجعل المتابعة أمرا عسيرا .

والفرق المسرحية كلها أهلية تجارية ، تعمل طوال العام .. وليس هناك مسرح قومى ولا دار للأوبرا تتبع الدولة .

ومع هذا فانه تتاح لشعب اليابان فرصة مشاهدة الفرق الأجنبية التى تقيم مواسم كاملة هناك .

كانت هناك فى العام الماضى فرقة بولشوى موسكو والكوميدى فرانسيز وباليه سان فرانسيسكو .

لمسات مسرحية

هذا النشاط الجديد فى عالم المسرح كان مقصورا قبل الحرب العالمية الثانية على فئة المترفين والمثقفين .. أما فى هذه الأيام ، فقد بدأت تدخله الطبقات الشعبية ..

هذا وقد هدمت الحرب العالمية الثانية هناك معظم المسارح ،وشجعت الحكومة اعادة بنائها كما عنيت الفرق المسرحية الكبرى بانشاء مراكز خاصة بها لتدريب الممثلين الجدد .

وتكونت عام ١٩٥٧ لأول مرة فى تاريخ اليابان « جمعية الممثلين اليابانيين » وذلك لرعاية الممثلين .

هذا وتلمع فى هذه الأيام فكرة انشاء مسرح قومى ملحق به مركز للدراسة والتدريب على الفنون المسرحية الكلاسيكية .. وكذلك يتجه التفكير حاليا الى انشاء أوبرا كبيرة ..!

ويوجد أربعة معاهد أهلية للفنون المسرحية تتبع الفرق الأهلية الكبيرة وكل منها يقبل حوالى ٥٠ طالبا كل عام للتدريب على التمثيل والاخراج .

كما انه يوجد حوالى ٢٠ معهدا للتدريب على فنون الرقص والباليه .

المسارح الاستعراضية والنوادى الليلية

المسارح التى تقدمت فى اليابان ووصلت الى مستوى عالمى .. هى المسارح الاستعراضية التى تجذب السياح ، ولا تقف اللغة اليابانية حائلا بينها وبين المشاهدين .

وانى أرجع السبب فى تقديمها أيضا الى أسباب تجارية ، حيث أن مثل هذه المسارح تحقق أرباحا خيالية .

والفتـــاة اليابانية تطورت بعد الحـــرب العالمية الثانيـــة .. أهملت التقاليد ، وخلعت الكيمونو ، ولم تعـــد تسجد على الأرض للرجل ... وبدأت تجهل رقصات بلادها وترقص الكاليبسو والتشا اتشا .

لا يكاد يمضى السائح فى الشارع حتى يسمع عرضا من فتاة عابرة أو أخرى تقود عربتها أو ثالثة فى تاكسى .. أو يقبل عليه شاب محترم ، يعرض عليه أن يذهب معه لمشاهدة عروض مخجلة مشينة .

وهذا الانحلال لا تقاومه الدولة ، ولا ترفع علم محاربته .. بل ان بعض الشركات الصناعية الكبرى تشجعه وتتبناه .. وقد أفسدت هذه الموجة الطاغية من الانحلال فتيات الجيشا فهجرن مهنتهن الفاضلة الى بيع الجسد من أجل الدولارات .

وهذه الصورة التى رسمتها ليست كاملة ، لأن القلم يخجل من وضع الرتوش واللمسات النهائية لها ..ولكننى أقصد منها الى أن المسارح الاستعراضية ، ونوادى الليل تجد من الفتيات أعدادا لا نهـــاية لها .. يعملن بأرخص الأسعار ، ثم يمارسن بعد ذلك حياة الانحلال .

هذه المسارح تعلن أن فيها مئات الفتيات .. وهذا صحيح .

وأكبر رقم قرأته عن ذلك كان ١٢٠٠ فتاة فى ناد ليلى واحد .

وفى مسرح آخر شاهدت أعمالا فنيـــة تقترب من الفولى برجير فى باريس .. مسرح مستعد تماما لتقديم مختلف الاستعراضـــات .. وكل المقاعد مليئة بالجمهور .. والذين تعذر عليهم الجلوس وقفوا فى الممرات

أما النوادى اليابانية فهى منتشرة غاية الانتشار .. وهى وما يسمى (Coffee shop) وهى مقاه صغيرة تنبعث فيها ألحان هادئة ، ويقوم بالخدمة فيها فتيات صغيرات .. ويبلغ عددها فى طوكيو وحدها ٥٠٠٠ مقهى .

هذا الى جانب ما يغرى السائح من عمليات التـــدليك والاستحمام التى تجريها له الفتيات بعيدا عن الابتذال وبأسعار لا تتجاوز الجنيه .

كل هذا الجو يجعل من طوكيو مدينـــة الليل التى لا تنام .. وهى أيضا ما يجعل المسارح الجادة تقع فى أزمة قاسية عندما تحاول أن تقدم أفكارا ومناقشات وفنونا عميقة ، وسط هـــذا الجو من اللهو والرقص والموسيقى الصاخبة .

اولجا .. وناسى .. وكلارا

أولجا وناسى وكلارا أسماء يعرفها سكان الشرق البعيد .. ينتظرون قدومها كل عام .. ولكنها أبدا لا تكون موضع ترحيب ..

وهذه الأسماء ليست لنساء فاتنات .. ولا قديسات راهبات .. انها أسماء لاعصارات مدمرة رهيبة . تهب من البحر فى جنون ، تدمر القرى والمدن .

عندما وصلت طوكيو .. كان الجميع يتحـــدثون عن (ناسى) .. الصحافة والاذاعة والتليفزيون تتابع أنباء ناسى يوما بعد يوم .. ثم ساعة بعد أخرى ..

ونانسى هو الاعصار رقم ١٨ الذى يجتاح اليابان مرة كل عام .. ويعتبر أخطر اعصار تتعرض له بلاد الزلازل والبراكين .

ولا يكاد يمر يوم واحد فى اليابان ، دون أن تسجل المراصد زلزالا أو أكثر . بعضها لا يشعر به الناس والبعض يشعرون به فى فزع .

وهذا هو السبب الذى جعل معظم المنازل فى اليابان تبنى من الخشب .. أما العمارات الحديثة فتعد بطريقة تقاوم الزلازل ، وهى من أجل ذلك تتكلف كثيرا ولا يقدر على بنائها الا الموسرون .

وهذا هو مايجعل طوكيو مدينة غريبة .. فيها عمارات حديثة وبجانبها مبان خشبية حقيرة .. الأمر الذى لا يجعل لها طابعا خاصا مثل لندن أو فينا أو باريس أو غير ذلك من عواصم أوروبا .

ونعود الى نانسى .. حددت المراصد موعد وصوله الى طوكيو فى مساء اليوم التالى لوصولنا اليها .. والجو مع ذلك لم يكن طبيعيا .. الرياح سريعة والأشجار تهتز فى شدة والهواء يدفع الناس فى الشوارع والاذاعة تذيع نشرة عن خط سير الاعصار مرة كل ساعة .. انه يقترب من طوكيو عن طريق المحيط . والأخبار ترد عن مراكب ابتلعها البحر.. وعن قرى على الشاطىء تحولت الى أنقاض ..

وفى صباح اليوم التالى بدأت تحذيرات قاسية .. على الجميع ألا يغادروا منازلهم .. كل الأشياء المتحركة يجب أن تثبت .. العربات يجب أن تزود بالأثقال .. المحلات يجب أن تقطع تيار الكهرباء .. توقف الطيران ، واحتمت البواخر بالميناء واحتل الاعصار مانشيتات الصحف الرئيسية (نانسى على الأبواب) .. (احذروا نانسى) .. والاذاعة تذيع فى فترات متقاربة وصلت الى مرة كل ربع ساعة .. تتوقف السيمفونية وتذاع أخبار الاعصار ..

ولكن (نانسى) لا يحدد طريقه .. انه يحاور مصلحة الأرصاد .. لا يعرف أحد له اتجاها .. وبدأت بوادره تصل الى طوكيو .. جميع المحلات أغلقت أبوابها .. وتوقفت المواصلات .. وأسرع الناس الى دورهم ينتظرون فى قلق وفزع .. الهيئات الوحيدة المتيقظة المترقبة هى المطافى والبوليس .

الاعصار لم يصل بعد .. ما زال على مسافة ساعتين من طوكيو .. ومع ذلك فالمدينة غارقة فى دوامات رهيبة .. ولم يعد أحـد قادرا على السير فى الشوارع .

وفجأة أعلنت الاذاعة أن (نانسى) قد غير اتجاهه .. وانه لن يقبل على طوكيو .. وبدأت الرياح تضعف ، وعويلها يخفت .. وضاعت فرصة رؤية أعظم اعصار فى العالم .. فى أكبر عاصمة تتعرض للزلازل والبراكين والاعصارات .

ومع هذا ورغم عدم وصول الاعصار كانت الخسائر ٩٢ شخصـا قتلى و١٨ حريقا ، ٢٤٠ جرحى وتعطلا كاملا لحركة السفر لمدة يومين كاملين ..!

وحمدت الله أن بلدنا لا يعرف الاعصارات المدمرة ..



الدار القومية للطباعة والنشر
« فرع الساحل »

هذا الكتاب

اتيحت للمؤلف فى حياته الصحفية فرصة القيام برحلات عديدة الى معظم بلاد العالم ، وفى هذا الكتاب تسجيل شائق لذكريات الكاتب عن أسفاره فى بلدان أفريقيا وآسيا وأوربا .

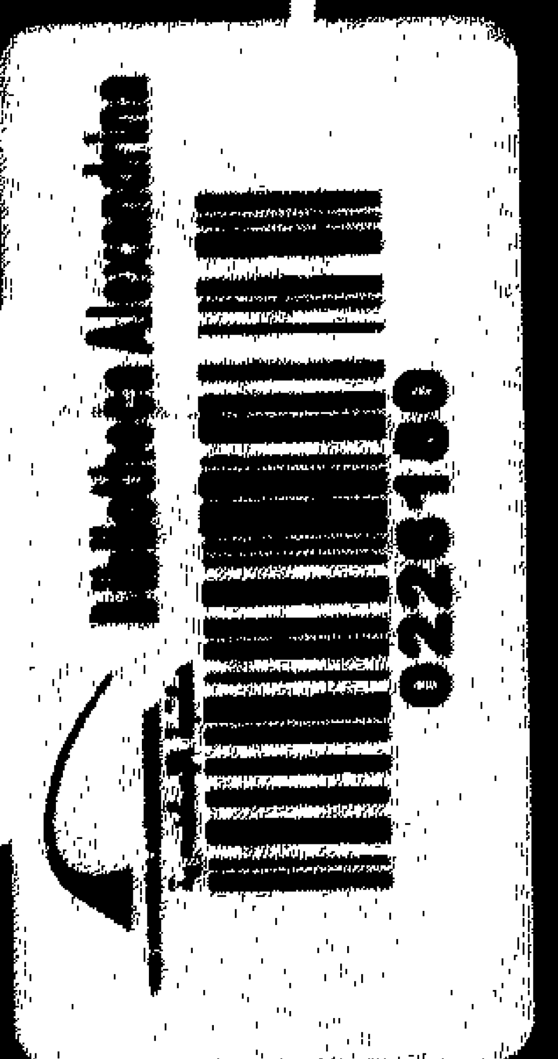


المؤلف

بدأ المؤلف حياته ضابطا فى الجيش ، وكاتبا ينشر المقالات فى الصحف والمجلات ، وقد عهد اليه باصدار ورياسة تحرير مجلة (التحرير) اولى مجلات الثورة وعندما تركها الى كلية أركان الحرب التى تخرج منها عام ١٩٥٣ أصدر عن ادارة التعبئة مجلة (الهدف) الثقافية الشهرية .. وفى عام ١٩٥٦ بدأ العمل مديرا لتحرير مجلة (الرسالة الجديدة) ومحررا بجريدة الجمهورية ورئيسا لتحرير مجلة الكاتب الشهرية . ثم عهد اليه بادارة المسرح القومى فنهض به نهضة معروفة . وللمؤلف عدة كتب منها :حرب العصابات ـ أسرار معركه بورسعيد ـ خواطر عن الحرب ـ الدانوب الجديد ـ كومبارس ـ خمس سنوات فى المسرح ـ مسرحيه الازمة .

العدد ٨٨

الثمن ٢٠ قرشا



الدار القومية للطباعة والنشر